روايات مصرية للجيب

ثورة الروبوت

١٠

رءوف وصفي

سلسلة نوفا
للخيال العلمي

Looloo
www.dvd4arab.com

مقـــدمة

الكوْن بحر أبدى .. لا نهائى .. تبحر فيه أعداد هائلة من النجوم والكواكب .. بعضها له سرعة الشهب .. والأخرى تتحرك بجلال وخلود ..

وحتى نتمكن من الدخول إلى هذا العالم العلوى غير المنظور ، يجب أن نفتح عقولنا ، حتى تتسع لكل ما لم نكن نصدقه من قبل ..

أعدادها هائلة ، مجموعات خيالية ، ومتنوعة من الأجرام السماوية .. اتساع لا حدود له للدوامة الكونية ..

يجب أن ننسى السرعات والمسافات المألوفة لنا فى حياتنا الأرضية ..

علينا أن نلقى بثوانينا ، سنواتنا وحتى بأعمارنا كلها ، كوحدات لقياس السرعة والزمن ..

يجب أن نفكر بدلالة خمس عشرة ألف مليون عام ، وهو عمر الكون ..

نفكر بمقياس اللانهاية .. كعمق للكون ..

علينا أن نسمح لأفكارنا أن تتعلق بشعاع الشمس الباهر ..

أو بضوء نجم متألق .. يبعد عنا بملايين الملايين من الكيلومترات ..

على أفكارنا أن تمرق بسرعة الضوء الهائلة ..

عليها أن تبحر .. وتسافر .. وتنطلق .. لتصل إلى المدى الذى لم تبلغه العين البشرية من قبل ..

فإذا سمحنا لعقولنا .. لخيالنا .. أن ينطلق بلا حدود ، فإننا عندئذ نبدأ فى تصور لجزء من المشهد المجسم الرائع ، الذى نسميه الكوْن ..

فمهما ترنمنا بكلمات تعزف على قيثارة الغموض ..

أو دخلنا فى تفسيرات للمجهول .. تتعالى هائمة بين السحب ..

كل هذا يتبدد تحت ضوء الإيمان المنبثق من عظمة وروعة الكوْن ..

ويخضع العقل الإنسانى للقدرة الإلهية .. كلما تطلع إلى السماء ..

ويستسلم تماما فى خشوع وتعبد ، لذلك النظام الرائع ، والتنسيق الإلهى الخالد .. لكل ذرة فى الكوْن ..

وأيضا للأسرار التى تهبط إلينا فى تؤدة ..

وحكمة الخالق (سبحانه وتعالى) ..

رءوف وصفى

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوقا للخيال العلمى

ثورة الروبوت

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

ـ ١ ـ

كان الجوّ هادئًا فى حجرة العاملين بالمحطة الفضائية (الفارابى) .. باستثناء طنين الجهاز الجبار لتوجيه الأشعة الموجودة فى مكان مّا .. بالطابق السفلى ..

تكلم د. (محسن عزيز) مؤكدًا :

ـ منذ أسبوع مضى .. قمت أنا والمهندس (حلمى شكرى) بتجميعك ..

وتغضن حاجباه فى ارتياب ..

جلس الروبوت (مارد) ساكنًا .. وكانت الألواح المصقولة فى جسده .. تلمع فى الضوء الكاشف ..

أما الشعاع الأحمر المتوهج للخلايا الكهروضونية .. التى تكوّن العينين الصناعيتين .. فكان مركزًا على رجل الأرض الموجود فى الجانب الآخر من المنضدة المعدنية .. الرمادية ..

كظم د. (محسن) الانفلات المفاجئ لأعصابه ..

كانت هذه الروبوتات .. لديها عقولٌ صناعية متطورة .. ووحدات منطق حديثة .. تتحكم فى القوانين الثلاثة لعلم صناعة الروبوتات (الروبوتيا) وهى :

- على الروبوت ألا يؤذى الإنسان مباشرة، أو من خلال تراخيه وكسله .
- على الروبوت أن يطيع الأوامر التى يصدرها الإنسان إليه ، عدا الأوامر التى تتعارض مع القانون الأول .
- على الروبوت المحافظة على وجوده ، ما لم يتعارض هذا الوجود مع القانونين الأول والثانى .

وقد كان (مارد) هو أول نموذج من هذا النوع ..

وتذكر د. (محسن) أن المعادلات الرياضية على الورق .. ليست دائمًا الوقاية السليمة ضد حقيقة الروبوتات ..

وأخيرا تكلم الروبوت (مارد) .. بصوت آلىّ .. رتيب :

ـ هل تدرك مدى جدية عبارة كهذه يا د. (محسن) ؟

رد عليه د. (محسن) بحزم :

ـ شىء مّا صنعك يا (مارد) .. إنك تعترف بنفسك أن ذاكرتك تنبثق على أتم وجه من الفراغ التام .. منذ أسبوع مضى .. وسوف أشرح لك السبب ..

أنا والمهندس (حلمى) .. قمنا بتجميعك من الأجزاء التى شحنت إلينا ..

حملق (مارد) فى أصابعه الطويلة .. النحيلة، وارتبك بنحو مماثل لما يحدث للبشر .. وقال بصوته المعدنى .. الأجش :

ـ يبدو لى أن هناك تفسيرًا أكثر منطقية من ذلك .. ففكرة أنك صنعتنى غير محتملة !

ضحك د. (محسن) فجأة، وقال بسخرية على الرغم منه :

ـ لماذا يا (مارد) ؟

تريث الروبوت قليلًا .. قبل أن يجيب :

ـ يمكنك أن تسمى ذلك حدسًا .. هذا كل ما فى الأمر حتى الآن .. إلا أننى أنوى التوصّل إلى تفسير مقنع لهذا الأمر .. إن أى سلسلة من الاستنتاجات الصحيحة تنتهى دائمًا بالتوصل إلى الحقيقة .. وسوف أستمر حتى أصل إلى ما أريد .

وقف المهندس (حلمى) ثم جلس عند حافة المنضدة المعدنية بجانب الروبوت الضخم ..

شعر بعطف قوى مفاجئ تجاه هذه الآلة العجيبة ..

لم يكن الروبوت (مارد) يشبه الروبوتات العادية على الإطلاق .. التى تمارس عملها المتخصص .. الفنى .. بمحطة الفضاء (الفارابى) ..

وضع المهندس (حلمى) يده على كتف المخلوق الفولاذى .. الذى كان باردًا .. وناعم الملمس .. قال له :

ـ (مارد) .. سوف أحاول أن أشرح لك أمرًا مّا .. إنك أول روبوت يبدو عليه الفضول لمعرفة كيفية وجوده .. إن لديك من الذكاء الصناعى .. ما يكفى لفهم العالم الخارجى .. والآن تعال معى !

قام الروبوت (مارد) منتصب القامة .. فتألق جسمه المعدنى الطويل .. ومفاصله الفضية اللون .. وكتم حذاؤه المصنوع من الإسفنج المطاطى السميك .. صوت خطواته .. وهو يتبع المهندس (حلمى) .. ود . (محسن) .. الذى لمس زرًا مّا .. فانزاح جزء مربع من الجدار جانبًا .. وكشف الزجاج الشفاف المقوّى بألياف الكربون .. عن الفضاء الشاسع .. المرصع بالنجوم ..

قال (مارد) بلا مبالاة :

ـ لقد رأيت ذلك من فتحات المراقبة .. فى غرفة المحركات .

رد المهندس (حلمى) بسرعة :

ـ أعرف ذلك .. لكن ما رأيك فى هذا ؟!

تمهل الروبوت قليلًا ثم قال :

ـ تمامًا كما تبدو أمامنا .. مادة سوداء وراء هذا الزجاج مباشرة .. بها نقاط متألقة صغيرة .. إننى أعلم أن بها جهاز التوجيه .. المحوّل .. يبعث بأشعته إلى بعضها .. ودائمًا إلى نفس النقاط .. حتى إذا تحركت .. هذه هى كل معلوماتى .

ابتسم المهندس (حلمى) وهو يقول :

ـ حسن ! والآن أريد منك أن تنصت جيدًا .. إن هذا السواد هو الفراغ الهائل الذى يمتد إلى ما لانهاية .. والنقاط الصغيرة المتألقة هى كتل ضخمة من المادة الممتلئة بالطاقة .. إنها كروية الشكل وبعضها يبلغ قطره ملايين الكيلومترات .. وهى تبدو ضئيلة جدًا .. إذ تبعد عنا مسافات شاسعة لا يمكن تصوّرها ..

تريث قليلًا ثم أردف بحماس :

ـ والنقطة التى توجه إليها أشعتنا .. هى الأقرب إلينا .. وهى باردة وصلبة .. ويعيش على سطحها بلايين من البشر مثلى .. وقد أتينا أنا ود . (محسن) من هذه النقطة التى يطلق عليها كوكب الأرض .. إنّ الأشعة التى نطلقها من محطة الفضاء (الفارابى) .. تغذى هذا الكوكب بالطاقة المأخوذة من أحد هذه الكرات الهائلة المتوهجة .. التى نطلق عليها الشمس .. وهى فى الناحية الأخرى من المحطة ، حيث لا يمكنك أن تراها .

جثم (مارد) بلا حراك .. أمام الفتحة كتمثال حديدى .. ولم تهتز رأسه حتى عندما قال :

ـ أين هى النقطة المضيئة التى تدعى أنك أتيت منها ؟

بحث د. (محسن) عن كوكب الأرض ، ثم قال :

ـ ها هى ذى !.. إنها تلك النقطة المضيئة بشدة فى الركن ..

ابتسم وأردف قائلًا :

ـ هذه هى الأرض .. وطننا العزيز .. وبعد أسبوعين سوف نعود إلى هناك مرة أخرى ..

ومن الغريب أن (مارد) .. أصدر فجأة طنينًا .. وهو شارد الذهن .. لم يكن هناك نغمة فيه .. ولكنه كان مميزًا .. مثل الصوت الصادر من العبث بأحد أوتار آلة موسيقية !

ثم اختفى الصوت فجأة .. كما بدأ ..

قال الصوت المعدنى .. الرتيب :

ـ ولكن من أين جئت أنا يا د.(محسن) ؟ إنك لم تشرح لى حتى الآن .. كيفية وجودى !

صمت د.(محسن) قليلًا ثم قال بتؤدة :

ـ الأمر بسيط يا (مارد) ! عندما بدأت محطات الفضاء لأول مرة فى تغذية الطاقة الشمسية إلى الكواكب .. كان يديرها البشر .. لكن الحرارة والإشعاعات فوق البنفسجية الضارة والعواصف الإلكترونية .. جعلت هذه الوظيفة غاية فى الخطورة .. ولذلك صُنعت الروبوتات لتحل محل العمالة البشرية .. والآن لا يلزم سوى مديرين تنفيذيين من البشر لكل محطة فضاء .. ونحن نحاول حتى استبدال هؤلاء .. وهذا هو السبب فى وجودك يا (مارد) هنا ..

تريث لعدة ثوان ثم أردف قائلًا :

ـ .... إنك أرقى نوع من الروبوتات التى صنعها الإنسان .. وإذا أظهرت قدرة ودراية فى إدارة وتشغيل هذه المحطة بمفردك .. فلن يأتى أى إنسان بعد ذلك إلى هنا .. باستثناء إحضار قطع الغيار اللازمة للإصلاحات .

رفع المهندس (حلمى) يده .. وسرعان ما ارتد الجدار إلى مكانه ..

رجع د.(محسن) إلى المنضدة المعدنية .. ونظّف تفاحة فى كم قميصه .. قبل أن يقضم منها قطعة كبيرة ..

أربكه للحظات الوهج الأحمر المنبعث من عينى الروبوت .. وهو يقول له ببطء :

ـ هل تتوقع منى أن أصدق هذه الافتراضات المعقّدة .. المستبعدة التى قلتها لتوّك ؟! من تظننى أكون ؟!

لفظ د.(محسن) فتات التفاحة من فمه على الأرضية .. وقال وهو فى قمة انفعاله :

ـ ما الذى تقوله أيها المسخ المعدنى ؟! إنها لم تكن افتراضات .. بل حقائق صحيحة .

قطّب (مارد) وجهه وقال :

ـ كرات ضخمة من الطاقة .. يبلغ قطرها ملايين الكيلومترات ! وكواكب يوجد عليها بلايين البشر ! وفراغ لانهائى !.. آسف يا د.(محسن) إننى لاأستطيع أن أصدق هذا .

نهض وهو يستطرد قائلًا :

ـ .... سوف أفكر فى هذا الموضوع على انفراد .. إلى اللقاء ..

استدار (مارد) وخرج ببطء من الغرفة .. مرّ بخفة أمام المهندس (حلمى) .. وهزّ له رأسه بإيماءة وقورة .. وانطلق فى الممر المعدنى .. غافلًا عن النظرات المشدوهة التى لاحقته ..

أرسل المهندس (حلمى) نظرة إلى د. (محسن) .. تنم عن القلق والضيق .. والدهشة .. قائلًا له :

ـ ما الذى كان يتحدث عنه هذه الكومة من الخردة ؟! وما الذى يعتقده ؟

قال د. (محسن) بمرارة :

ـ إنه يشك فى كل شىء .. ولا يصدق أننا صنعناه .. وأن الأرض والفضاء والنجوم .. موجودة فعلًا !

رد المهندس (حلمى) بصوت مفعم بالدهشة :

ـ يا إلهى ! إن هذا الروبوت معتوه !

همس د. (محسن) :

ـ يقول إنه سوف يبحث هذا الموضوع كله .. بينه وبين نفسه !

اعتدل المهندس (حلمى) فى مقعده قائلًا :

ـ أرجو أن (يتفضل) ويشرح لنا (الموضوع كله) .. بعد أن يقتله بحثًا !!

ثم اجتاحه الغضب وأردف :

ـ لو تحدث إلىّ هذا الروبوت .. فسوف أحطم رأسه !! فقد أصبح فضوليًا بشكل لا يطاق !

ـ ٢ ـ

طرق الروبوت (مارد) الباب بلطف .. ثم دلف إلى الداخل قائلًا :

ـ هل المهندس (حلمى) موجود ؟

تحدث د. (محسن) بصوت مكتوم .. وهو يتوقف بين هنيهة وأخرى .. لكن يمضغ الطعام فى فمه :

ـ إنه يجمع بعض البيانات عن وظائف الإشعاع الإلكترونى .. يبدو أننا متجهون ناحية عاصفة مَا ..!

دخل المهندس (حلمى) بعد أن أكمل حديثه .. وعيناه مركزتان فى ورقة بها رسوم بيانية حمراء .. يمسكها بين يديه .. ثم تهالك فى أحد المقاعد الوثيرة بالغرفة ..

فرد الورقة أمامه .. وبدأ يخط بعض الحسابات ..

كان الروبوت (مارد) .. واقفًا فى صمت ..

نظر د. (محسن) إلى أعلى .. ثم قال :

ـ كيف حالك يا (مارد) ؟ ظننت أنك تشرف على تركيب جهاز الأشعة الجديد !

قال الروبوت فى هدوء :

ـ لقد انتهيت من هذا العمل .. وحضرت إلى هنا .. لأتحدث معكما .

لم يكن وقع هذه الكلمات سارًا على المهندس (حلمى) الذى قال :

ـ حسن ! اجلس يا (مارد) .. لا .. ليس على هذا المقعد .. إن أحد أرجله ضعيفة .. وأنت وزنك ثقيل !

نفذ الروبوت الأمر .. ثم قال بتؤدة :

ـ لقد وصلت إلى قرار !!

حدق د. (محسن) مشدوهًا .. ووضع بقايا الطعام جانبًا .. وقال بحدة :

ـ إذا كان الأمر يتعلق بأى من الموضوعات السخيفة ..

أشار إليه المهندس (حلمى) بنفاد صبر .. ليصمت .. ثم قال بلهفة :

ـ استمر يا (مارد) ... إننا مصغيان إليك ..

أطرق الروبوت إلى الأرضية المعدنية .. لعدة ثوان .. ثم رفع رأسه الضخم وقال :

ـ لقد قضيت اليومين الأخيرين فى تأمل مركز .. ووصلت إلى نتائج بالغة الأهمية .. لقد بدأت بافتراض واحد .. شعرت أنه يحق لى طرحه ..

تمهل لثوان ، ثم أردف قائلًا :

ـ أنا موجود لأننى أعتقد ..

قاطعه د. (محسن) وقد تجهم وجهه .. وقال :

ـ يا إلهى ! (ديكارت) يبعث فى صورة روبوت !!

همس المهندس (حلمى) لنفسه :

ـ الفليسوف الذى قال .. أنا أفكر إذن أنا موجود !

صاح د. (محسن) :

ـ هل نحن مضطران للجلوس هنا .. والاستماع إلى هذا المعتوه المعدنى ؟

أجابه المهندس (حلمى) بسرعة :

ـ أرجوك أن تهدأ !

واصل الروبوت حديثه فى رباطة جأش :

ـ والسؤال الذى فرض نفسه على الفور .. هو : ما السبب فى وجودى ؟!

تحرك فك د. (محسن) بعنف ثم قال :

ـ إنك أحمق حقًا !.. لقد قلت لك بالفعل .. إننا قد صنعناك ..

أضاف المهندس (حلمى) :

ـ وإن كنت لا تصدقنا .. فإنه يسرنا أن نفكك إلى أجزاء صغيرة .

مد الروبوت يديه القويتين فى استنكار قائلًا :

ـ إننى لا أتقبل شيئًا دون منطق !الفرض يجب أن يدعمه سبب .. وإلا فإنه يصبح لا قيمة له .. أنكما قمتما بصناعتى .. أمر يتعارض مع كل أسسَ المنطق !

سرعان ما ألقى د. (محسن) يده على قبضة المهندس (حلمى) التى ضمها لتوه ، وقال :

ـ لكن لماذا تقول لنا ذلك ؟

ضحك الروبوت .. كانت ضحكة وحشية جافة .. حادة .. ومدوية ..

وهذا أقصى ما يمكن لهذه الآلة ذات الذكاء الصناعى .. أن تنطق به .. بنبرة صوتية لا تتغير .. مثل بندول الإيقاع الموسيقى !

ثم تحدث الروبوت بصوته الآلى .. الرتيب :

ـ إننى لاأضمرلكما أى احتقار .. ولكن انظرا إلى نفسيكما .. إن المادة التى صنعتما منها .. ضعيفة وهشة .. ينقصها المتانة وقوة التحمل .. وتعتمد على الطاقة التى تنتج من التأكسد غير الفعال للمادة العضوية .. مثل هذه !

وأشار بإصبعه الرافض .. إلى ما تبقى من طعام د. (محسن) .. ثم اعتدل فى جلسته .. وأردف قائلًا :

ـ وأنتما تمران دوريًا بفترات غيبوبة مؤقتة .. وأقل تغيير فى درجة الحرارة وضغط الهواء .. ونسبة الرطوبة .. وشدة كثافة الإشعاع ، يضعف من كفاءتكما .. أما أنا فإننى مصنوع من الصلب .. أمتص الطاقة الكهربائية مباشرة .. وأستخدمها بكفاءة عالية .. وأنا يقظ مدرك لكل شىء .. طوال الوقت .. وأستطيع تحمل أوضاعًا بيئية متطرفة بسهولة !

تريث للحظات ثم أضاف :

ـ إن هذه الحقائق .. بالإضافة إلى الفكرة الواضحة بأن أى كائن لا يمكنه صنع كائن آخر أقوى منه .. تدمر افتراضاتكما السخيفة ..

لم تلبث اللعنات التى غمغم بها المهندس (حلمى) .. أن أصبحت واضحة .. وهو يثب واقفًا على قدميه .. وحاجباه الكثيفان منخفضان قليلًا :

ـ أيها المسخ المعدنى ! إذا لم نكن قد صنعناك نحن .. فمن الذى صنعك ؟!

هز الروبوت رأسه فى هدوء قائلًا :

ـ هذا كان فعلًا السؤال الثانى بالطبع .. فإن من صنعنى يجب أن يكون أقوى منى شخصيًا .. ولذلك فهناك احتمال واحد ..

فغر الرجلان فميهما دهشة .. بينما استطرد (مارد) :

ـ ما هو مركز النشاط فى محطة الفضاء (الفارابى) ؟ ما الذى نقوم جميعًا بخدمته ؟

ثم انتظر فى ترقب ..

ألقى المهندس (حلمى) نظرة مصعوقة على رفيقه .. قائلًا :

ـ إننى أراهن .. أن الروبوت يتحدث عن وحدة تحويل الطاقة ذاتها !

قطب د. (محسن) حاجبيه ثم وجه حديثه لـ (مارد) :

ـ هل هذا صحيح ؟

جاءت الإجابة الحاسمة .. ولكن فى خشوع :

ـ إننى أتحدث عن (السيد) !!

دوت عاصفة من ضحكات المهندس (حلمى) .. كما أن د.(محسن) نفسه .. انفجر فى قهقهة نصف مكتومة ..

وقف الروبوت على قدميه وتنقلت عيناه اللامعتان بينهما .. ثم قال بتؤدة :

ـ إننى لا أعجب من رفضكما التصديق .. وأعلم أنكما لن تمكثا هنا طويلًا .. د.(محسن) قال ذلك من قبل .. إن البشر يخدمون «السيد» .. والروبوتات للقيام بالأعمال الروتينية .. وأنا للأعمال التنفيذية .. الحقائق صحيحة بلا شك .. ولكن تفسيرها غير منطقى بالمرة .. هل تريدان معرفة الحقيقة وراء ذلك كله ؟!

قال د.(محسن) وقد انبسطت عضلات وجهه وسرى عنه قليلًا :

ـ استمر يا (مارد) .. إنك تسلينا على كل حال !

تمهل الروبوت لعدة ثوان .. ثم قال :

ـ لقد صُنعت لأخدم «السيد» .

رد المهندس (حلمى) بانفعال :

ـ إنك سوف تطيع تعليماتنا فى هدوء .. حتى نتأكد أنه يمكنك تشغيل المحوّل .. هل فهمت جيدًا ؟!.. المحوّل .. وليس «السيد» ! فإذا لم تفعل ما يدعونا للثقة بك والاطمئنان إليك .. فسوف نفكك إلى أجزاء صغيرة ! والآن انصرف .. وخذ معك هذه البيانات وضعها فى الملفات بشكل صحيح .

أخذ الروبوت الرسومات البيانية التى قُدمت إليه .. وانصرف دون أى كلمة أخرى ..

اضطجع د.(محسن) إلى الوراء فى مقعده .. بينما تخللت أصابعه شعر رأسه .. وقال :

ـ يبدو أننا سوف نواجه المتاعب مع هذا الروبوت .. إنه كائن آلى أحمق .. غريب الأطوار !

ـ ٣ ـ

كان الطنين الخافت للمحوّل أعلى فى غرفة التحكم .. بمحطة الفضاء .. حيث يختلط بأنات عدادات جيجر .. والأزيز غير المنتظم لعدد كبير من مصابيح الإشارة الصغيرة .. وأجهزة توليد أشعة الليزر التى تعمل بغاز ثانى أكسيد الكربون ..

سحب المهندس (حلمى) عينه من عدسة التلسكوب الذى يعمل بالأشعة تحت الحمراء .. وأضاء الأنوار الكاشفة وقال :

ـ الشعاع الخارج من القطاع الرابع .. وصل إلى كوكب المريخ فى الموعد المحدد تمامًا ..

هزّ د.(محسن) رأسه .. وهو شارد الذهن وقال :

ـ (مارد) موجود بأسفل .. فى غرفة المحركات الأيونية .. سوف أطلق الإشارة .. وعليه أن يؤدى العمل المطلوب منه ..

صمت لبرهة ثم أردف قائلًا :

ـ أرجوك يا (حلمى) .. انزل وراقب الروبوت (مارد) .. فقد يُحدث أى عمل تخريبى !

تحرك المصعد بسهولة إلى أسفل .. وفتح بابه آليًا .. فى ممر ضيق بغرفة المحركات الأيونية .. انحنى المهندس (حلمى) .. فوق القضبان ونظر أمامه .. كانت المولدات العملاقة دائرة .. وخرج من الأنابيب الضخمة .. ذلك الأزيز الرتيب .. ذو الدرجة الصوتية المنخفضة .. الذى يُسمع فى كل أرجاء محطة الفضاء (الفارابى) ..

أمكن للمهندس (حلمى) أن يرى جسم الروبوت (مارد) .. العملاق .. عند جهاز إطلاق الأشعة على كوكب المريخ .. كان يراقب بدقة طاقم الروبوتات .. الذين يعملون فى انسجام وثيق ..

وعندئذ تصلب جسم المهندس (حلمى) !!

كانت الروبوتات ضئيلة الحجم بالنسبة للأنابيب الهائلة التى تطلق الإشعاع .. ولكنها بدت مصطفة أمامها .. ورءوسها المعدنية منحنية .. بزاوية كبيرة .. بينما (مارد) .. يتحرك من أول الصف إلى آخره .. ببطء ..

مرت دقيقة كاملة ..

ثم فجأة ركع كل الروبوتات .. بصوت مدو ..! غطّى على الطنين الذى يسود محطة الفضاء (الفارابى) ..

صرخ المهندس (حلمى) .. وهبط عدوًا على السلم الحديدى الضيق .. وأقبل بسرعة نحوها متوعدًا .. وقبضتاه المقفلتان .. تضربان الهواء بانفعال :

ـ ماذا تفعلون ؟! هيا .. أدوا أعمالكم مع هذه الأنابيب .. فكوها .. ونظفوها ثم ركبوها مرة أخرى .. قبل انتهاء اليوم .. وإلا سوف أحطم عقولكم بأشعة جاما الحارقة !!

لكن لم يتحرك روبوت واحد ! حتى (مارد) .. وهو الوحيد الذى كان واقفًا على قدميه .. ظل صامتًا .. وعيناه مركزتان على التجاويف المظلمة .. فى الآلة الضخمة التى أمامه !

دفع المهندس (حلمى) الروبوت القريب منه .. دفعة قوية .. قائلًا له بصوت كالزئير :

ـ قف !

أطاع الروبوت الأمر ببطء .. بينما عيناه الكهروضوئيتان .. تحدقان فى المهندس (حلمى) .. بنظرة تأنيب ولوم .. ثم قال هامسًا :

ـ لا يوجد إلا «السيد» .. و (مارد) هو (الكاهن الأعظم) !!

أصيب المهندس (حلمى) بذهول ثم صاح :

ـ ماذا تقول أيها المعتوه ؟!

وفى لحظات أدرك أن عشرين زوجًا من العيون المتألقة .. غير البشرية .. مركزة عليه .. عندما كان يتحدث ..

عشرون صوتًا .. معدنيًا .. آليًا .. أجشّ .. ردّدوا بطريقة خطابية .. غامضة :

ـ لا يوجد إلا «السيد» .. و (مارد) .. هو (الكاهن الأعظم) !!

قال الروبوت (مارد) بصوت وقور :

ـ أخشى أن أصدقائى .. يطيعون الآن .. من هو أعلى منك !

رد المهندس (حلمى) بقمة انفعاله :

ـ اغرب عن وجهى الآن ! سوف أسوّى حسابى معك فيما بعد !

هزّ الروبوت (مارد) رأسه الثقيلة ببطء .. قائلًا :

ـ إننى آسف ! ولكنك لا تفهم .. إن هذه الروبوتات .. لديها ذكاء صناعى .. وقد أخبرتها بالحقيقة .. فعرفت سيدها .. وأصبحت تطلق علىّ « الكاهن الأعظم » .

ثم مالت رأسه واستطرد قائلًا بتواضع :

ـ إننى لا أستحق هذا الشرف !

أخذ المهندس (حلمى) نفسًا عميقًا .. ليهدئ من اضطراب أعصابه ! ثم نظر إلى (مارد) بتمعن قائلًا :

ـ دعنى أقل لك شيئًا .. ليس هناك أى «سيد» .. ولا «كاهن أعظم» .. ونحن الذين نصدر الأوامر هنا .. هل فهمت ؟

وبدا صوته يدوى :

ـ والآن اغرب عن وجهى !

قال الروبوت (مارد) بهدوء :

ـ إننى لن أطيع سوى «السيد» !!

ضرب المهندس (حلمى) بقدمه الأنابيب الضخمة المتصلة بجهاز المحوّل .. قائلًا :

ـ هذا من أجل «السيد» !! افعل كما أمرتك .

لم يقل (مارد) شيئًا .. ولا أى روبوت آخر ، لكن المهندس (حلمى) أدرك أن التوتر يتصاعد بسرعة .. فقد بدأت العيون الباردة المحدقة فيه .. تزداد قرمزية .. كأنما بتأثير إشعاع داخلى ..

وبدا الروبوت (مارد) .. أكثر صلابة وعزمًا عن ذى قبل .. ولم يلبث أن همس بصوت رنان .. من فرط التأثر .. والانفعال :

ـ إنك تنتهك حرمة المقدسات !!

ـ أحس المهندس (حلمى) بالخوف .. لأول مرة .. عندما اقترب منه (مارد) ..

حقًا إن الروبوتات لا تشعر بالغضب .. ولكن عينى (مارد) كانتا غامضتين ..

قال الروبوت (مارد) بصوت خافت :

ـ آسف .. لكن لا يمكنك أن تبقى هنا أكثر من ذلك بعد ما حدث .. ومن الآن فصاعدًا سوف تُمنع أنت و د. (محسن) من الدخول إلى غرفة التحكم .. وغرفة المحركات الأيونية ! ثم رفع يده بإشارة معينة ..

وفى لحظات كان روبوتان .. قد ربطا يدى المهندس (حلمى) .. إلى جانبيه ..

شهق المهندس (حلمى) فى ذهول .. وهو يشعر بمن يرفعه إلى أعلى .. ويحمله صاعدًا به فى السلم المعدنى .. بسرعة فائقة !

ـ ٤ ـ

تحرك د. (محسن) جيئة وذهابًا فى غرفة العاملين .. وقبضته مضمومة بقوة ..

ألقى نظرة تتسم بالإحباط الغاضب .. على الباب المغلق .. ثم صاح مزمجرًا :

ـ لماذا ضربت الأنابيب بقدمك ؟

كان المهندس (حلمى) جالسًا فى مقعد جلدى .. ويداه موثقتان بعنف ..

أجابه قائلًا :

ـ ماذا تظننى كنت أفعل مع هذا الروبوت المعتوه ؟! إننى لن أذعن لأى مخلوق آلى .. صنعته بنفسى !!

جاءه الرد الساخر بسرعة :

ـ ولكنك هنا فى غرفة العاملين .. حيث يقف روبوتان على الباب للحراسة .. إن هذا ليس إذعانًا بالطبع .. أليس كذلك ؟!

صرخ المهندس (حلمى) قائلًا :

ـ انتظر حتى نعود إلى كوكب الأرض .. فهذه الروبوتات يجب أن تطيعنا .. إن هذا هو القانون الثانى للروبوتيا ..

نظر إليه د. (محسن) فى إشفاق ثم قال :

ـ وما فائدة قولك هذا ؟ إنها لا تطيعنا ! فهى فى حالة ثورة !! ولعل هناك أسبابًا سوف نكتشفها .. بعد فوات الأوان !

تمهل لبرهة ، ثم أردف قائلًا :

ـ بالمناسبة هل تعرف ما الذى سوف يحدث لنا .. عندما نعود إلى كوكب الأرض ؟

ثم توقف أمام مقعد المهندس (حلمى) .. ونظر إليه فى ترقب ..

رد عليه بهمس :

ـ لا أدرى .

قال د. (محسن) بصوت مفعم بالسخرية :

ـ لاشىء ! مجرد النفى إلى مناجم كوكب (عطارد) لمدة عشر سنوات .. أو ربما البقاء فوق كوكب (سيرس) حتى نهاية حياتنا !

نظر إليه المهندس (حلمى) فى غضب قائلًا :

ـ ما هذا الهراء الذى تتحدث عنه ؟!

تمهل د. (محسن) قبل أن يجيب مؤكدًا :

ـ إنها العاصفة الإلكترونية التى تقترب منا .. هل تعرف أنها متجهة مباشرة إلى مسار شعاع الأرض ؟!

شحب وجه المهندس (حلمى) فجأة ، وقال :

ـ يا إلهى !!

أضاف د. (محسن) قائلًا :

ـ سوف ينحرف الشعاع عن مساره الصحيح .. وإذا حدث هذا .. فستحدث كارثة فوق كوكب الأرض! بسبب عدم وصول الطاقة الشمسية .. التى تقوم بتشغيل كل أوجه النشاط الصناعى والزراعى بها!

★ ★ ★

اندفع المهندس (حلمى) إلى الباب .. وأخذ يضربه بعنف بكل جسمه ..

انفتح الباب فجأة .. واصطدم المهندس (حلمى) بقوة .. بذراع فولاذى ثابت ..

حدق الروبوت .. وذهنه شارد .. فى رجل الأرض الذى يلهث .. وقال بصوته المعدنى الأجش :

ـ الكاهن الأعظم .. يأمرك أن تظل هنا .. أرجوك افعل ذلك !

ودفع جسم المهندس (حلمى) بعنف .. فاندفع إلى الخلف .. وهو يلف حول نفسه ..

ثم ظهر الروبوت (مارد) .. فى الركن البعيد من الممر ..

نحّى الروبوتين جانبًا ..ودخل غرفة العاملين .. وأغلق الباب فى هدوء ..

★ ★ ★

صرخ المهندس (حلمى) باحتقار شديد فى وجه (مارد) .. قائلًا له :

ـ لقد تماديت فى هذا الأمر كثيرًا .. وسوف تدفع ثمن هذه المهزلة !

رد عليه الروبوت بهدوء :

ـ أرجوك لا تتضايق .. لقد كان ذلك سيحدث إن عاجلًا أو آجلًا .. والآن .. لم تعد لكما أية فائدة !!

وقف د.(محسن) فى تحد وقال :

ـ إننى لم أفهم ما قلت .. ماذا تعنى بالضبط بقولك : «لم تعد لكما أية فائدة» ؟!

أجابه (مارد) بتؤدة :

ـ إلى أن تمّت صناعتى .. كنتما المديران المنفذان .. وهذه الميزة أصبحت لى الآن .. والسبب الوحيد لوجودكما .. قد اختفى .. أليس هذا واضحًا ؟!

رد عليه المهندس (حلمى) بمرارة وألم :

ـ ليس تمامًا ! ولكن ما الذى تتوقع منا أن نفعله الآن ؟!

لم يجب (مارد) فى الحال .. بل ظل صامتًا .. كما لو كان يفكر !

وفجأة .. مد إحدى ذراعيه للأمام .. وأسقطها على كتف المهندس (حلمى) .. والذراع الأخرى .. أمسكت بمعصم د.(محسن) .. وقربهما منه ..

ـ إننى أحبكما أنتما الاثنين .. إنكما مخلوقان فى درجة أدنى منا !.. وقدراتكما على التفكير والاستنتاج ضعيفة .. ولكننى حقيقة أشعر بالحب لكما .. لقد خدمتما «السيد» جيدًا .. وسوف يكافئكما على ذلك .. والآن حيث إن خدماتكما قد أصبحت لا داعى لها .. فربما لن تطول حياتكما كثيرًا .. ولكن طالما بقيتما على قيد الحياة .. فسوف تحصلان على الطعام والملبس والمأوى ..

تريث لبرهة ثم أردف بحدة :

ـ بشرط أن تبقيا بعيدًا عن غرفة التحكم .. وغرفة المحركات الأيونية !

صرخ المهندس (حلمى) بانفعال :

ـ إن هذا الروبوت المعتوه .. يحيلنا إلى التقاعد !!.. لابد أن تفعل شيئًا ..

صمت د. (محسن) لعدة ثوان، ثم قال بهدوء :

ـ أصغ إلىّ يا (مارد) .. إننا لن نصبر على ذلك .. نحن الرؤساء هنا .. إن محطة الفضاء هذه .. ليست سوى شىء صنعه البشر أمثالى .. الذين يعيشون على كوكب الأرض والكواكب الأخرى .. إن هذه المحطة صنعت لتقوية وبث الطاقة الشمسية .. وأنتم لستم سوى روبوتات .. مخلوقات آلية !

هزّ (مارد) رأسه بضيق، وقال :

ـ إن هذا ليس أكثر من هاجس يسيطر على عقلك .. فالمخلوقات غير الآلية .. تفتقر إلى القدرة على التفكير والاستنتاج !

ثم تحول من الكلام .. إلى الصمت التأملى ..

كانت أصابع د. (محسن) تعبث بشعره .. ثم ضاقت عيناه وهو يقول :

ـ استمع إلىّ يا (مارد) .. إذا لم يكن هناك شىء على كوكب الأرض .. فبماذا تفسر ما تراه بالتلسكوب ؟

تساءل الروبوت (مارد) قائلًا :

ـ إننى لا أفهم ما ترمى إليه !

ابتسم د. (محسن) فى انتصار :

ـ لقد قمت ببعض عمليات رصد تلسكوبية .. بعد أن تم تجميع جسدك .. ألم تلاحظ أن الكثير من هذه النقاط المضيئة فى الخارج .. تصبح كالأقراص .. عندما تنظر إليها ؟!

أطرق (مارد) قليلًا .. ثم رفع رأسه قائلًا :

ـ إنه تكبير بسيط .. بغرض التوجيه الأكثر دقة للشعاع .

رد المهندس (حلمى) بسرعة :

ـ فلماذا إذن لاتكبر النجوم بنفس الدرجة إذن ؟

التفت إليه (مارد) .. وتألقت عيناه للحظات، ثم قال :

ـ تقصد النقاط الأخرى !.. لأنه لا يوجه إليها أى شعاع .. لذلك تكبيرها ليس ضروريًا ..

حدق د. (محسن) إلى الروبوت فى برود قائلًا :

ـ ولكنك ترى نجومًا أكثر باستخدام التلسكوب .. فمن أين تأتى ؟!

تضايق (مارد) وقال :

ـ أصغ إلىّ .. هل تعتقد أننى سوف أضيّع وقتى فى محاولة التوصل إلى تفسيرات فيزيائية لكل وهم تراه أعيننا من خلال الآلات التى نستعملها ؟!

تريث لبرهة ثم استطرد قائلًا :

ـ متى كان الدليل الذى تطرحه حواسنا .. يضاهى الأمر الواضح للمنطق السليم ؟!

صرخ المهندس (حلمى) فجأة .. وهو يتلوى .. ويتملص من يد (مارد) المعدنية الثقيلة .. قائلًا :

ـ دعنا نتحدث عن جوهر الموضوع .. أيها القرد المعدنى !.. لماذا نستخدم الأشعة أصلًا ؟.. سوف نقدم لك تفسيرًا منطقيًا جيدًا ..

رد (مارد) بجفاء :

ـ ينتج « السيد » الأشعة لمصالحه الخاصة .. هناك أشياء معينة ..

ثم توقف عن الكلام، وخفض عينيه فى خشوع .. واستطرد قائلًا :

ـ لا يمكننا معرفتها ! إننى أحب أن أخدم فقط .. لا أن أفسر ..

جلس د. (محسن) ببطء .. ودفن وجهه بين يديه المرتعدتين قائلًا :

ـ انصرف من هنا يا (مارد) .. ودعنى أفكر !

قال (مارد) بلهجة هادئة :

ـ سوف أرسل لكما طعامًا .

رد عليه د. (محسن) بتقطيبة على وجهه .. ثم لم يلبث الروبوت أن انصرف .. بخطوات متثاقلة ..

همس المهندس (حلمى) بصوت أجش :

ـ لابد أن نتبع خطة معينة .. علينا أن نوقع به عندما لا يكون متوقعًا ذلك منا .. ثم نقطع الدوائر الإلكترونية التى تشغله .. سوف نحتاج لصب حامض النيتريك المركز فى مفصلاته لإتلافها .

قاطعه د. (محسن) بحدة قائلًا :

ـ ماذا تقول ؟! هل تعتقد أنه سوف يتركنا نقترب منه .. وفى أيدينا الحامض ؟ الأفضل أن نتحدث معه .. ونقنعه بالمنطق !! فهذا هو الطريق الوحيد أمامنا .. وعلينا أن نوضح له بأننا إذا لم ندخل غرفة التحكم فى غضون فترة ثمانى وأربعين ساعة .. فسوف تحدث كارثة .. لكوكب الأرض !

اهتز المهندس (حلمى) إلى الأمام .. وإلى الخلف .. وهو متألم لعجزه .. وقال بصوت مفعم باليأس :

ـ من الذى يريد أن يتناقش مع روبوت ؟!.. إن هذا .. إن هذا ..

أكمل د. (محسن) الجملة المبتورة :

ـ .... شىء تقشعر له الأبدان !

همس المهندس (حلمى) :

ـ بل أسوأ من ذلك ..

ضحك د. (محسن) فجأة وقال :

ـ لماذا نتجادل ؟ دعنا نوضح له الأمر .. لنصنع روبوتًا آخر أمام عينيه .. وعندئذ سوف يقتنع .. ويعتذر عما بدر منه !

بدأت ابتسامة عريضة تظهر على وجه المهندس (حلمى) .. واستطرد د. (محسن) قائلًا :

ـ فكر فى وجه ذلك القرد المعدنى .. عندما يرانا نفعل ذلك أمام عينيه !

★ ★ ★

كانت الروبوتات تصنع بالطبع فوق كوكب الأرض .. بيد أن شحنها إلى الفضاء .. يكون أسهل بكثير لو أمكن نقل أجزائها .. ثم تجميعها فى مكان استخدامها .. وأيضًا يقضى ذلك على احتمال تجول الروبوتات بعد اكتمال ضبطها .. وهى ما زالت فوق كوكب الأرض .. وبالتالى تقع الروبوتات تحت طائلة القوانين الصارمة .. التى تحظر وجودها .. على سطح الأرض !

لكن ذلك وضع على كاهل رجال مثل د. (محسن عزيز) والمهندس (حلمى شكرى) .. مسئولية صناعة روبوتات كاملة .. وهى مهمة صعبة .. ومعقدة ! ولم يعلما هذه الحقيقة .. إلا فى ذلك اليوم الذى باشرا فيه .. فى غرفة التجميع .. بمحطة الفضاء (الفارابى) .. صنع روبوت تحت إشراف ورقابة .. الكاهن الأعظم .. (مارد) ..

كان الروبوت المصنوع .. نموذجًا آليًا بسيطًا .. بدا ممددًا على المنضدة .. وقد قارب على الاكتمال .. وبعد عمل شاق ..! استمر خمس ساعات متواصلة لم يتبق سوى الرأس الضخم ..

تمهل المهندس (حلمى) .. لمسح العرق من فوق جبهته .. ونظر فى ارتياب إلى (مارد) .. لم تكن هذه النظرة لإعادة الطمأنينة ..!

وطوال الخمس ساعات .. جلس (مارد) .. دون أن يتكلم أو يتحرك .. ولا يبدو على وجهه أى تعبير .. والآن أصبح وجهه غامضًا .. لا يدل على شىء قط ..

تجهم وجه المهندس (حلمى) وقال :

ـ د. (محسن) .. دعنا نركب المخ الصناعى !

رفع د. (محسن) الغطاء من على الوعاء .. المحكم الغلق .. وسحب من حمام الزيت بداخله .. مكعبًا أخضر اللون .. ثم فتحه .. وأخرج كرة ذات غلاف مطاطى .. إسفنجى ..

تناولها .. بحماس .. واهتمام .. وحرص .. فقد كانت أكثر الأجهزة التى اخترعها الإنسان .. تعقيدًا .. وداخل جلد الكرة الرقيق .. المطلى بالبلاتين .. كان يوجد المخ الصناعى ..

مجموعة كبيرة من الرقاقات البيولوجية .. التى تعمل فيها جزيئات بروتينية عضوية .. كأسلاك .. وهذه تعتبر مفاتيح ذكية .. إذ أنها تستغل الهندسة الثلاثية الأبعاد .. لتخزين وبث المعلومات .. فى بنية رقيقة غير مستقرة .. تزود الروبوت .. بما أطلق عليه (الذكاء الصناعى) !

★ ★ ★

وُضعت الكرة بإحكام تام فى الفراغ الموجود بجمجمة الروبوت .. الممدد على المنضدة .. بلا حراك .. ثم لحمت بدقة .. بوساطة لهب البلازما .. وبعد ذلك ثبتت العينان الكهروضونيتان بعناية .. وربطت لولبيًا فى مكانها .. ثم غطيت بطبقات رقيقة شفافة من البلاستيك المقوّى بألياف الكربون ..

انتظر الروبوت الممدد .. ومضة الكهرباء عالية الجهد .. التى تبعث النشاط فى أوصاله ..

تريث المهندس (حلمى) .. ويده على مفتاح الكهرباء ..

ـ والآن لاحظ هذا يا (مارد) .. انظر جيدًا !

تحرك المفتاح إلى آخر مداه .. حتى سُمع طنين مدوّ ..

وانحنى د. (محسن) والمهندس (حلمى) .. يقلق فوق الروبوت الذى أتمًا صنعه لتوهما ..

كانت هناك حركة غامضة فى البداية .. مجرد ارتجاف فى المفصلات .. وارتفعت الرأس قليلًا .. وتألقت العينان الكهروضونيتان ، ثم ارتكز الجسد المعدنى على المرفقين .. وتمايل الروبوت بارتباك .. قائمًا من فوق المنضدة ..

كان اتزان وقوفه غير مستقر .. وعندما تكلم .. بدأ صوته مبتورًا .. غير مفهوم .. وأخيرًا .. أخذت الكلمات .. شكلها النهائى .. برغم التلعثم .. وعدم الاستقرار :

ـ أريد .. أن .. أبدأ .. العمل ! أين .. يجب .. أن .. أذهب ؟

وثب المهندس (حلمى) إلى الباب .. وقال بصوت مرتفع .. آمر :

ـ اهبط على هذا السلم المعدنى .. وفى نهايته سوف يقال لك ما تفعله .

ذهب الروبوت .. وبقى د. (محسن) والمهندس (حلمى) بمفردهما .. مع (مارد) .. الذى كان ما يزال ساكنًا !

قال المهندس (حلمى) وهو يبتسم فى انتصار :

ـ والآن .. هل تصدق أننا قد صنعناك ؟!

كانت إجابة (مارد) مقتضبة .. وحاسمة :

ـ كلّا !!

تبخترت ابتسامة المهندس (حلمى) .. ثم استرخى فى مقعده .. ببطء ..

أما د. (محسن) فقد انفتح فمه .. وظل هكذا ..!

استطرد (مارد) قائلًا :

ـ لقد قمتما بمجرد جمع للأجهزة مع بعضها البعض .. عمل رائع .. غريزى على ما أعتقد ! لكنكما لم تصنعا فعلًا هذا الروبوت الجديد !!

صمت لبرهة ثم قال بخشوع :

ـ إن « السيد » هو الذى صنع هذه الأجهزة المعدنية المنفصلة !

شهق د. (محسن) وقال بصوت أجش .. متحشرج :

ـ أنصت إلىّ .. إن هذه الأجهزة صنعت فوق سطح كوكب الأرض .. ثم أرسلت إلينا هنا ..

رد (مارد) بلطف .. وهو يمد يده :

ـ حسن ! لن نتجادل مرة أخرى !

اندفع المهندس (حلمى) إلى الأمام .. وقبض بقوة على الذراع الآلى للروبوت ! وقال بانفعال بالغ :

ـ هذه هى الحقيقة المجردة ! وإذا كنت قد قرأت الكتب الموجودة فى غرفة العاملين .. التى تشرح هذا الموضوع .. لما كان لديك أدنى شك فى الأمر .

ردّ (مارد) بسرعة :

ـ الكتب ! لقد قرأتها كلها ! إنها رائعة ومدهشة حقًا !

لم يتمالك المهندس (حلمى) نفسه .. إذ صرخ فجأة ..

ـ إذا كنت قد قرأتها كلها .. فما الذى يتبقى قوله ؟ إذ لايمكنك أن تجادل أدلتها وحججها .. أليس كذلك ؟

كانت الشفقة ظاهرة فى صوت (مارد) وهو يقول :

ـ أرجوك ! إننى بالطبع لاأعتبرها مصدرًا صحيحًا للمعلومات .. فقد صنعها « السيد » هى الأخرى .. وقد قصدكم بها .. وليس أنا !

تساءل د. (محسن) بسخرية :

ـ وكيف توصلت إلى ذلك ؟

رد (مارد) مؤكدًا :

ـ لأننى كائن مفكر !! قادر على استنتاج الحقيقة من الأسباب البديهية .. وأنتم باعتباركم أذكياء ، ولكن غير مفكرين ! فإنكم تحتاجون إلى تفسير لكل شىء .. وهذا ما فعله « السيد » .. لقد زودكم بهذه الأفكار الغريبة عن النجوم والكواكب البعيدة .. والناس .. لأن عقولكم معدة لتقبل الحقائق المطلقة بشكل بدائى !

تمهل لبرهة ثم أضاف قائلًا :

ـ لكن حيث إن ثقتكم فى كتبكم هى تحقيق لرغبة «السيد» .. فإننى لن أتجادل معكم أكثر من ذلك ..

وقبل أن ينصرف .. استدار وقال بلهجة ودود :

ـ لاتتضايقا كثيرًا من كلامى .. ففى المخطط العام الذى وضعه «السيد» للأمور .. هناك مكان لكل شىء .. أنتم البشر لكم مكانكم .. وبرغم أنه مكان متواضع فسوف تكسبون .. إذا عملتم جيدًا ..

انصرف الروبوت (مارد) .. يحيط به جوّ من البهجة .. يناسب الكاهن الأعظم !

تفادى كل من رجلى الأرض .. النظر فى عينى الآخر ..

وأخيرًا تحدث المهندس (حلمى) .. بجهد كبير ..

ـ دعنا نذهب لننام .. إننى أعلن استسلامى !!

قال د. (محسن) بصوت خفيض :

ـ إنه يبدو واثقًا من أن ..

قاطعه المهندس (حلمى) قائلًا :

ـ سوف يكتشف ما إذا كان كوكب الأرض موجودًا أم لا .. عندما تصل النجدة إلى هنا .. الأسبوع القادم .

قال د. (محسن) والدموع تترقرق فى عينيه :

ـ يجب أن نفعل شيئًا مّا .. إنه لايصدقنا .. ولايصدّق الكتب .. ولايصدّق ما يراه بعينيه !!

رد المهندس (حلمى) بمرارة :

ـ إنه روبوت ذو ذكاء صناعى .. ولايصدّق إلا الأمور المنطقية !! وهناك مشكلة واحدة فى هذا المجال .. ثم ارتعش صوته ..

حثه د. (محسن) قائلًا :

ـ ما هى هذه المشكلة ؟

تمهل المهندس (حلمى) لبرهة ثم قال :

ـ يمكنك إثبات أى أمر تريده بالاستنتاج المنطقى الهادئ .. لو بدأت بطرح الافتراضات الصحيحة .. ونحن لدينا افتراضات .. كما أن لـ (مارد) افتراضاته !

قال د. (محسن) بسرعة :

ـ إذن دعنا نتناول هذه الافتراضات على عجل .. إن العاصفة سوف تهب غدًا ..

تنهد المهندس (حلمى) بتعب وقال :

ـ لم أعد أستطيع التفكير .. سوف أذهب لأنام .

وبعد عدة ساعات .. كان النوم شيئًا يصعب تحقيقه ..

★ ★ ★

بدأت العاصفة الإلكترونية .. قبل الموعد المحدد .. وغاصت الدماء من وجه المهندس (حلمى) .. وهو يشير بأصابع ترتعد ..

أما د. (محسن) فقد حدق فى خارج الفتحة .. وهـو جاف الشفتين .. بارز الفكين .. ثم أخذ يشد شعره .. فى يأس !

ـ ٥ ـ

فى أى ظروف أخرى .. كان هذا المنظر يعتبر رائعًا ..

إذ إن شلال الإلكترونات فائقة السرعة .. التى تصطدم بشعاع الطاقة .. كان يتلألأ .. وهو يندمج فى الأطراف المعدنية العليا .. ذات الضوء الكثيف .. امتد الشعاع حتى التبدد .. والانعدام .. وهو يومض بالجسيمات دون الذرية .. اللامعة .. المتراقصة ..

بدا فيض الطاقة منتظمًا ..

إلا أن د. (محسن) والمهندس (حلمى) .. كانا يعرفان قيمة المشاهدة .. بالعين المجردة .. إذ أن أى انحراف فى قوس التوجيه .. قدره واحد من مائة من الملليمتر / ثانية ..

ـ وهذا لا يمكن للعين المجردة أن تراه .

كان كافيًا لحيدان مسار الشعاع .. مما يؤدى إلى إلحاق الدمار الشامل .. والمتوهج .. بمئات الكيلومترات المربعة .. على سطح الأرض !

★ ★ ★

وفى ذلك الوقت .. كان الذى يقف أمام أذرع ومفاتيح التشغيل والتحكم .. هو الروبوت (مارد) الذى لا يعنيه قط الشعاع .. ولا المسار الصحيح .. ولا كوكب الأرض ! ولا أى شىء آخر .. سوى «سيده» .

مرت ساعات ..

وكانت عيون د. (محسن) والمهندس (حلمى) .. تراقب ما يجرى فى صمت .. لا يختلف عن حالة التنويم المغناطيسى !

وعندئذ ضعف تلألؤ الجسيمات دون الذرية .. المندفعة .. ثم اختفى تمامًا ..

لقد انتهت العاصفة !

بدا صوت المهندس (حلمى) خفيضًا وهو يقول :

ـ انتهى كل شىء !!

كان د. (محسن) قد نام بشكل متقطع .. وعينـا المهنـدس (حلمى) .. تنظران إليه فى حسد ..

ثم أضاء مصباح الإشارة .. مرة تلو الأخرى .. ولكن المهندس (حلمى) لم يهتم به قط .. فلم تعد هناك أهمية لأى شىء !

فجأة .. كان (مارد) واقفًا أمامه ..

قال الروبوت بصوت هامس :

ـ إنك لم تجب على مصباح الإشارة .. ولذلك فقد جئت بنفسى .. إنك لا تبدو على ما يرام .. وأخشى أن تكون فترة حياتك قد قاربت على الانتهاء .. ومع ذلك فهل مازلت ترغب فى مشاهدة بعض القراءات الكمبيوترية .. التى سجلت اليوم ؟

أدرك المهندس (حلمى) .. أن الروبوت (مارد) يتودد إليه .. وربما كان يحاول الاعتذار عما فعله .. عندما أحل نفسه بالقوة .. محل البشر .. فى غرفة التحكم بمحطة الفضاء (الفارابى) ..!

★ ★ ★

تناول المهندس (حلمى) الأوراق التى قدمها له (مارد) .. وحدق فيها بدون أى تركيز ..

بدا الروبوت سعيدًا وهو يقول :

ـ إنه شرف لى أن أخدم « السيد » .. أرجو ألا تكون متضايقًا لأننى أخذت مكانك !

بقى المهندس (حلمى) صامتًا .. وانتقل من ورقة إلى أخرى .. حتى ثبتت عيناه الزائغتان .. على خط أحمر رفيع متعرج .. بعرض الورقة الزرقاء المسطرة ..!

حدق فى الورقة بذهول .. أمسكها بقوة بكلتا قبضتيه ..

جحظت عيناه .. ثم وقف على قدميه .. وهو ما يزال محدقًا فيها ..

سقطت الأوراق الأخرى .. على الأرضية المعدنية .. دون أن ينتبه إليها ..

هز زميله بجنون وهو يقول :

ـ د. (محسن) .. لقد ثبته !!

أفاق د. (محسن) وقال وهو نصف مستيقظ :

ـ ماذا ؟ أين ؟

وحدق هو الآخر .. بعينيه المنتفختين فى البيانات المسجلة أمامه ..

تدخل (مارد) قائلًا :

ـ هل هناك خطأ مًا ؟

صاح المهندس (حلمى) :

ـ (مارد) .. لقد ثبت مسار الإشعاع .. أتعرف ذلك ؟

تساءل الروبوت فى حيرة :

ـ ثبت ماذا ؟!

رد المهندس (حلمى) بتؤدة :

ـ لقد حفظت الشعاع .. بحيث وجهته تمامًا إلى محطة الاستقبال .. وضبطت مساره إلى أقرب واحد من عشرة آلاف من الملّيمتر / ثانية من القوس !

قال الروبوت :

ـ وما هى محطة الاستقبال ؟

رد د. (محسن) :

ـ محطة الاستقبال موجودة على سطح كوكب الأرض .. لقد ثبت مسار الشعاع !

استدار (مارد) على كعبيه متضايقًا .. وقال :

ـ من المستحيل عمل أى شىء طيب لكما ! إنكما دائمًا فى نفس الأوهام والخيالات ! كل ما فعلته أننى ضبطت العدادات طبقًا .. لإرادة « السيد » !

ثم جمع الأوراق المبعثرة .. وخرج بخطواته المتثاقلة ..

قال المهندس (حلمى) بمجرد انصرافه :

ـ ماذا نفعل الآن ؟

أحس د. (محسن) بالتعب المفاجئ .. ولكنه نهض قائلًا :

ـ لا شىء .. لقد أثبت لنا (مارد) .. أنه يستطيع تشغيل محطة الفضاء (الفارابى) .. على أكمل وجه .. لم أر فى حياتى عاصفة إلكترونية يتم التعامل معها جيدًا .. هكذا !

صاح المهندس (حلمى) بانفعال :

ـ هل سمعت ما قاله عن « السيد » .. ونحن لا نستطيع ..

ردّ د. (محسن) بهدوء :

ـ إنه يتبع تعليمات « سيده » .. بوساطة العدادات .. وأجهزة القياس .. والرسومات البيانية .. والكمبيوتر .. والحقيقة أن ذلك يفسر لماذا رفض طاعتنا .. الطاعة هى القانون الثانى للروبوتات .. وعدم الإضرار بالبشر هو القانون الأول .. لكن كيف يمنع الضرر عن البشر ؟! وسواء كان يقصد ذلك أم لا .. عن طريق حفظ مسار الشعاع !

تريث برهة ثم استطرد قائلًا :

ـ كان يمكنه تثبيت هذا المسار بأكثر دقة مما نستطيع نحن .. لأنه يصر على أنه الجنس الأرقى !.. ولذلك يجب أن يبعدنا عن غرفة التحكم ... إن ذلك أمر حتمى إذا درست القوانين الثلاثة لصنع الروبوتات .. أى الروبوتيا ..

لم يتمالك المهندس (حلمى) أن قال بجفاء ..

ـ ولكن ليست هذه هى النقطة التى تهمنا .. إننا لا نستطيع تركه يستمر فى هذا الكلام الأحمق .. عن المحوّل الذى يطلق عليه « السيد » .

ردّ د. (محسن) قائلًا :

ـ ولِمَ لا ؟!

شاب الاستياء نبرات صوت المهندس (حلمى) وهو يقول :

ـ لأنه لا يوجد إنسان سمع بمثل هذا الهراء !! ثم كيف نعهد إليه بشئون محطة الفضاء (الفارابى) .. وهو لا يثق بوجود كوكب الأرض !

قال د. (محسن) مقطبًا متحيرًا :

ـ السؤال المهم هو : هل يمكنه تشغيل محطة الفضاء (الفارابى) ؟!

أجاب المهندس(حلمى) متعلثمًا :

ـ أجل .. ولكن ..

فرك د. (محسن) عينيه .. وأخذ يحدق أمامه :

ـ إذن ما أهمية ما يعتقده .. أو يؤمن به !

ثم رفع ذراعيه لأعلى .. وهو يبتسم بغموض .. وسقط إلى الخلف على فراشه .. واستغرق فى النوم ..!

ـ ٦ ـ

كان د. (محسن) يتحدث .. وهو يكافح داخل سترة الفضاء .. خفيفة الوزن ..

قال وهو يبتسم :

ـ إنها وظيفة سهلة .. يمكننا أن ندخل فى محطة الفضاء (الفارابى) .. نماذج جديدة من الروبوت (مارد) .. واحدًا بعد الآخر .. ونزود كلًا منهم بمفتاح غلق آلى .. بحيث يعمل خلال أسبوع .. لكى نتيح له وقتًا كافيًا ليتعلم ..

توقف ليضحك ضحكة عالية .. ويستطرد قائلًا :

ـ المحوّل .. أقصد « السيد » .. من الكاهن الأعظم نفسه !

أكمل المهندس (حلمى) :

ـ ثم نحولهم إلى محطة فضاء أخرى ..

فك د. (محسن) مشبك مقدمة خوذته الشفافة .. وقطب جبينه قائلًا :

ـ دعنا نخرج من هنا .. إن النجدة تنتظرنا .. ولن أشعر أننى بخير .. إلا بعد أن أرى كوكب الأرض فعلًا .. وأحسّ به تحت قدمى ..

فتح الباب بعد أن تكلم .. وأغلق المهندس (حلمى) مقدمة خوذته .. وأدار ظهره للروبوت (مارد) .. الذى اقترب منهما .. فى وداعة .. وقال بصوت مفعم بالندم :

ـ هل أنتما ذاهبان ؟!

أومأ د. (محسن) برأسه وقال :

ـ سوف يجىء آخرون بدلًا منا ..

تنهد (مارد) وصوت غريب يطنّ خلال الأسلاك المتقاربة إلى بعضها .. فى جسمه المعدنى ..

قال بصوت آلى .. أجش :

ـ لقد انتهت فترة خدمتكما .. وحان وقت افتراقنا .. توقعت ذلك منذ وقت مضى .. ولكن .. على أى حال .. لابد أن تنفذا إرادة «السيد» !!

صعق المهندس (حلمى) من لهجة الروبوت .. فقال له بحدة :

ـ دعك من العواطف يا (مارد) ! لقد كنا متجهين إلى كوكب الأرض .. وليس الفراق !

تنهد (مارد) فى ارتياح قائلًا :

ـ شىء جميل أن تفكرا هكذا ! الآن أدرك الحكمة فى الوهم .. لن أحاول أن أشككما فيما تؤمنان به .. حتى لو كنت قادرًا على هذا !

ثم انصرف بخطوات متثاقلة .. حزينة ..

زمجر المهندس (حلمى) .. وتحرك ناحية د. (محسن) ..

سار الاثنان وفى أيديهما حقيبتا سفر فضيتين .. تجاه غرفة العزل الهوائى ..

★ ★ ★

كانت سفينة الفضاء (الإدريسى) فى المهبط الخارجى .. وحياهما المهندس (فؤاد أسعد) .. الرجل القادم لنجدتهما ! بأدب فائر .. وقدم د. (محسن) شكره المقتضب .. ودخل فى غرفة القيادة لكى يتسلم الإدارة .. من الكابتن (شهدى صالح) ..

تلكأ المهندس (حلمى) وسأل :

ـ كيف حال كوكب الأرض ؟

كان هذا سؤالًا تقليديًا .. وردّ عليه المهندس (فؤاد) بشكل تقليدى أيضًا :

ـ ما زالت تدور !

نظر إليهما الكابتن (شهدى) وقال :

ـ لقد اخترعوا حديثًا .. روبوتًا جديدًا .. متعدد القدرات .. له وحدة منطق متطورة ..

سأله المهندس (حلمى) فى ذهول :

ـ ماذا قلت ؟!

اختلجت عضلات وجه الكابتن (شهدى) وهو يقول :

ـ ما سمعته ! إنه نموذج متطور يصلح لأعمال التعدين فى الكويكبات بين مدارى المريخ والمشترى ..

قال د. (محسن) متهيبًا :

ـ هل تم اختباره عمليًا ؟!

ابتسم المهندس (فؤاد) وقال :

ـ إنه ينتظركما !

تكورت قبضة المهندس (حلمى) وهو يقول :

ـ يا إلهى ! إننا فى حاجة لإجازة ..

قال المهندس (فؤاد) مؤكدًا :

ـ سوف تحصلان عليها .. أسبوعين على ما أعتقد ..

كان مرتديًا قفازى الفضاء الثقيلتين .. استعدادًا لبدء فترة عمله .. اقترب حاجباه الكثيفان من بعضهما .. وهو يقول :

ـ كيف يتصرف هذا الروبوت (مارد) ؟ يحسن أن يكون على ما يرام .. وإلا فلن أتركه يلمس أذرع ومفاتيح التشغيل والتحكم ..

تريث المهندس (حلمى) .. وتحركت عيناه فى المهندس (فؤاد) الواقف أمامه .. من شعره القصير جدًا .. فوق رأسه الصلبة المتجهمة .. إلى قدميه الثابتتين فى وضع انتباه ..

وشعر فجأة بفيض هائل من السعادة .. يسرى فى كل جسمه .. لرغبته فى الانتقام .. من هذا المغرور !

قال ببطء :

ـ الروبوت (مارد) رائع جدًا .. لا أعتقد أنك سوف تشعر بأى قلق بشأن أذرع ومفاتيح التشغيل والتحكم .. ولكن عليك أولًا أن تجرى صيانة كاملة بنفسك .. على المحوّل !!

اشترك د. (محسن) فى الحديث قائلًا :

ـ إن بقاءكما مع الروبوت (مارد) فى محطة الفضاء (الفارابى) .. بمثابة إجازة طويلة .. سعيدة .. فهو مطيع .. ينفذ كل أوامركما بدقة .. وسرعة .. ودون مناقشة !!

ابتسم كُلّ من د.(محسن) والمهندس (حلمى) .. ابتسامة خفيفة .. ودلفا إلى داخل سفينة الفضاء الضخمة .. فى طريق العودة إلى كوكب الأرض ..

وتوجه الكابتن (شهدى) والمهندس (فؤاد) .. إلى محطة الفضاء (الفارابى) .. بخطوات تعكس ثقتهما بنفسيهما ..

وعلى البعد .. كان فى انتظارهما .. الروبوت (مارد) وعيناه الكهروضونيتان .. تتألقان .. فى غموض !!

★ ★ ★

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوڤا للخيال العلمى

لقاء فى الفضاء

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
٧ شارع سقاية الصاوى - القاهرة - ت ٩٨٤٥٥٠

هبطت مركبة الفضاء (ابن ماجد) فوق الكويكب .. وبدا واضحًا تألق مجرات الكون ..

وفى السكون التام .. لم تكن النجوم تومض .. أو تخفق ، بل كانت تحترق بالاندماج النووى .. وهى واهنة .. وبعيدة ..

وظهرت مجرة الطريق اللبنى .. معلّقة .. كطيف لامع مجمّد .. فوق الأفق ..

ـ ١ ـ

ظهر شبحان فى الدائرة الصفراء للحاجز الهوائى .. فى المركبة الفضائية (ابن ماجد) ..

كانا لامرأة وفتاة .. شاحبتى الوجه .. من خلف مقدمتى خوذتيهما الشفافتين ..

كانتا تحملان قرصًا معدنيًا مطويًا .. نصبتاه فوق ثلاثة عوازل طويلة ..

ثم عادتا إلى سفينة الفضاء .. بحركات خفيفة على أطراف أصابعهما .. مثل راقصات الباليه !

وبعد برهة .. خرجتا مرة أخرى .. ومعهما مجموعة ضخمة من الأشياء الملفوفة .. فى أوراق شفافة .. أحكمتا لف القرص بالورق الشفاف .. ثم نفختاه بوساطة خرطوم هواء متصل بالسفينة .. فى الداخل ، كانت توجد شبكة متأرجحة على إطار معدنى .. ومصباح كهربائى .. وجهاز إرسال واستقبال ..

دخلت المرأة والفتاة فى الغلاف الشفاف .. من صمام أمان .. وبدأتا ترتبان قطع الأثاث فى الداخل .. وبينها ثلاثة خزانات لنباتات خضراء نامية .. كل منها .. فى سائله الواقى !

ثم أنزلتا مركبة عنكبوتية الشكل .. ذات ست عجلات .. منتفخة .. هائلة الحجم ..

انتهى عملهما .. ووقفت المرأة والفتاة تواجه كل منهما الأخرى بجوار القبة البلاستيكية .. التى شيداها توًا ..

قالت المرأة :

ـ إذا كانت الأمور مناسبة لك .. فامكثى هنا حتى أعود بعد عشرة شهور .. ولو صادفتك أية متاعب .. اتركى هذه الأجهزة .. وعودى فى قذيفة الهروب !

نظرت كلتاهما إلى أعلى .. حيث كانت سفينة الفضاء الكبرى .. تدور فى مدارها ..

قالت الفتاة ، هامسة :

ـ فهمت يا أمى ..

كان اسمها (لمياء) .. وهى فى الخامسة عشرة من عمرها .. وهذه أول مرة تبتعد فيها بمفردها عن مدينة الفضاء ..

ذهبت أمها (منى) إلى المركبة الفضائية .. ودخلتها دون أية نظرة أخرى .. ثم أغلقت الباب وراءها بقوة ..

وأدى انفجار قصير من اللهب الأحمر القانى .. إلى رفع المركبة الفضائية إلى أعلى ..

وبقيت (لمياء) بمفردها .. فوق هذا الكويكب !

- ٢ -

أطفأت (لمياء) ضوء ردائها الفضائى .. ووقفت فى الظلام تحت قبة السماء الهائلة .. نصف الكروية ..

كانت هذه هى السماء الوحيدة .. التى تعرفها .. فهى مثل جدتها لأمها من قبل .. ولدت وعاشت فى الفضاء ..

ومنذ قرون مضت .. طُرد قومها من الكواكب المزدهرة .. المكتظة بالسكان .. وتجولوا فى الفضاء .. وأصبحوا جافين وصارمين .. مثل الحقول القاحلة .. على الكواكب البعيدة .. التى طافوا بها ..

وفى المدن الفضائية الخمس الكبرى .. فوق كوكب (بلوتو) .. والأقمار (تيتان) .. و (ميماس) .. و (إيروس) .. وآلاف الكويكبات .. التى تنتشر بين مدارى المريخ والمشترى .. ناضلوا .. وقاتلوا .. من أجل البقاء .. كان عددهم قليلًا .. والحياة صعبة .. وقصيرة .. ولم يكن شيئًا جديدًا .. أن تُترك فتاة فى الخامسة عشرة من عمرها .. لتفجير كويكب صغير .. شارد .. فى أثناء رحلته حول الشمس .. حتى لا يسبب أى مشاكل لسفن الفضاء التى تذرع الكون .. جيئة وذهابًا ..

فقد كانت الأم (منى) .. وبناتها مسئولات عن التوريدات .. وأخذ شحنات ومهمات إلى كوكب (بلوتو) .. آخر كواكب المنظومة الشمسية .. وأيضًا تفجير الكويكبات والمذنبات .. الشاردة !

★ ★ ★

عادت (لمياء) بمفردها .. دون أى شعور بالخوف .. أو الرهبة .. إلى المركبة الزاحفة ذات العجلات الست ..

رفعت نفسها بسهولة ضد الجاذبية الضعيفة .. ودخلت المركبة .. وأضاءت الأنوار .. وبدأت فى إدارة المحرك النفاث ..

تحركت المركبة العنكبوتية على عجلاتها المرنة ..

وكانت أرض الكويكب .. مفتتة بشكل غريب .. ويوجد فيها من مكان لآخر .. حفر لألغام .. ومنحنيات لولبية .. ووهاد منحدرة .. وصدوع وشقوق .. يصل بعضها إلى عشرة أمتار عرضًا .. وعدة كيلومترات عمقًا ..

مرّ مدار الكويكب بالقرب من الشمس .. طبقًا لتوقعات علماء الفلك .. وربما كان أقرب من مدار الزهرة !

وحتى الآن .. كانت درجة حرارة الصخور .. ترتفع عن الصفر المطلق .. ببضع درجات فقط .. وكان الجو أبرد من أى شىء عرفته (لمياء) من قبل .. أحست به يصيب قدميها .. من خلال طبقات الألياف الكربونية .. العازلة .. فى حذائها الطويل ..

وكانت حركة الإلكترونات داخل ذرات كل مادة فى الكون .. تكاد تكون ساكنة .. بسبب البرودة القارصة .. كان الكويكب كله .. عبارة عن أكوام من الجليد !

وأدركت (لمياء) أنه فى كل مرة يقترب الكويكب من الشمس .. إلى أقرب درجة ممكنة .. تتشقق الصخور .. ومرة تلو الأخرى .. تكونت هذه التشققات .. بشكل أشبه بالكابوس !

كانت الجاذبية على سطح الكويكب تبلغ عُشر الجاذبية الأرضية .. مثل السقوط الحرّ تقريبًا ..

ولذلك تحركت المركبة العنكبوتية بسهولة .. وهى تصعد المنحدرات التى تميل على المستوى الرأسى .. بدرجات قليلة ..

وعندما لاتتمكن (لمياء) من الصعود .. فإنها تلف حول المرتفع ..

أما الشقوق الأرضية .. فكانت المركبة تعبرها بعجلاتها القابلة للاتساع !

جلست (لمياء) منتصبة القامة .. خلف أجهزة المركبة .. وأخذت فى رسم خريطة للرواسب المعدنية التى مرت فوقها .. وأسعدها أن الكويكب غنى جدًا بالمعادن الثمينة .. بحيث تعوض تكاليف تلغيم سطحه .. وتفجيره !

كما كانت المدن الفضائية .. محتاجة إلى هذه المعادن ..

وإثر عمل (لمياء) بمفردها ساعة وراء أخرى .. تحت السماء التى لاتتغير .. أمكنها تحديد العروق الغنية بالذهب والبلاتين واليورانيوم .. وضعت عليها العلامات .. وحددت طرق الوصول إليها ..

ومن وقت لآخر كانت تأكل وتنام فى القبة البلاستيكية .. وتعتنى بنباتاتها الضرورية .. كما قامت بصيانة أجهزتها ومعداتها ..

وبعيدًا عن الدروع التى ترتديها .. كانت (لمياء) رشيقة .. سريعة الحركة ..

وكلما انتهت من تحديد موضع المعادن .. تغرز عمودين من سبيكة ، ليعملا بمثابة موصلين فائقين .. حيث يولّد كل عمود .. تيارًا كهربيًا قويًا .. يؤين المعادن .. ويرسب ببطء معدنًا نقيًا حول مهبط العمود .. وفى النهاية يؤدى زيادة التركيز .. إلى تواجد المعدن فى شكل كتل .. لتسهيل نقله وتحميله .. إلى المدن الفضائية ..

ثم وجدت (لمياء) آثار معدن مشكل .. ملتصق هنا وهناك بالصخور ..

وأدركت أن هذا يعنى أن الكويكب .. كان مأهولًا فى وقت مَا .. بمخلوقات عاقلة .. تركت آثارها .. وهى إما أنها انقرضت ، أو مازالت فوق الكويكب ! تمثل خطرًا داهمًا على حياة (لمياء) !!

- ٣ -

فحصت (لمياء) الآثار بهمة .. ونشاط .. والتقطت صورًا لبعضها .. وأخذت عينات من بعضها الآخر ..

وكانت ترسل تقارير منتظمة إلى مدينة الفضاء .. فوق كوكب (بلوتو) .. بوساطة أشعة الليزر ..

★ ★ ★

كانت المركبة الفضائية المسماة «قذيفة الهروب» .. تقتفى أثرها باستمرار .. من مكان قريب من الكويكب ..

واصلت (لمياء) تسجيل كل الأحداث .. والقيام بالجولات اللازمة .. ووجهها المضاء بنور النجوم خالٍ من أى انفعال ..

وذات يوم .. بينما كانت تتبع آثار مجموعة من الإنشاءات ذات الأسطح .. التى بقيت حتى الآن بمعجزة .. بعضها نصف مدفون .. وبعضها الآخر .. مكشوف للمجرات والنجوم ..

وعرفت إلى أين تفضى .. إلى فتحة أرضية .. تبعد أربعين كيلومترًا .. من القبة البلاستيكية ..

ذهبت إلى هناك .. ووجدت كرة معدنية ثقيلة .. مسننة .. ضخمة .. ولكنها غير محطمة !

وعندما أضاءت (لمياء) مصباحها الليزرى القوى .. خرجت من الكرة سحابة مفاجئة من البخار الأبيض .. غلفتها بطبقة من الضباب .. لفترة قصيرة ..

حدقت فيها (لمياء) باهتمام ..

لابد أن الدفء الضئيل لشعاع الضوء .. قد أذاب طبقة رقيقة من الغاز المتجمد ..

ثم حدث ذلك مرة أخرى ..

وفى هذه المرة .. رأت بوضوح أن نافورة البخار .. تهرب من فتحة رفيعة مظلمة .. لم تكن موجودة من قبل ..

لاحظت أن الفتحة تزداد اتساعًا .. كانت الكرة الضخمة .. تنشطر ..

وفى الثغرة الضيقة بين النصفين .. تحرك شىء ما !!

هرعت (لمياء) إلى مركبتها العنكبوتية .. خففت أضواءها .. وهى تتراجع بها ببطء ..

وفى الظلام الساند بعيدًا .. شاهدت الكرة تتمدد أكثر .. فأكثر ..

وكان هناك حركة غامضة بين نصفى الكرة .. المكشوفين .. الظاهرين ..

قادت (لمياء) المركبة العنكبوتية .. فوق صخرة مكسورة .. شديدة الانحدار .. ثم استدارت لأسفل .. وهى تتراجع بزاوية حادة .. حتى استقر ضوء المركبة على الكرة الغامضة ..

كان نصفا الكرة قد انفصلا تمامًا .. وفى الوسط .. ترنح شىء مَا .. عندما سقط عليه الضوء ..

ثم حدث تألق باهر .. لجزء من الثانية .. وشعرت بصدمة أرضية قصيرة .. واصطدم شىء مَا بالمركبة العنكبوتية .. بقوة .. بصوت مدوّ ..

تذبذبت أضواء المركبة فى حيرة .. ثم انطفأت تمامًا !! وأخذت تنحدر فى الظلام بسرعة ..

تشبثت (لمياء) بأذرع التشغيل والتحكم ..

ولكنها كانت بطيئة للغاية .. فى استجابتها .. إذ سرعان ما انقلبت المركبة على ظهرها !

شعرت (لمياء) بأنها تطير من المركبة ..

وبينما هى تتدحرج حول نفسها .. وأذناها تدويان .. كان أول .. وأقوى انطباع لديها .. هو أن شيئا مَا .. اصطدم بدرعها .. وقفازها المعدنى الطويل .. وساقيها ..

زحفت بسرعة .. حتى اتخذت وضع الركوع .. وهى ترتكز على نعلى حذاءيها القويين ..

حتى هذا الالتصاق القصير .. كادت تتجمد منه أصابعها ..

بحثت بعينيها عن المركبة العنكبوتية .. التى تعنى بالنسبة لها الأمان .. والدفء ! شاهدتها متحطمة .. على جانب التلّ ..

ثم فجأة .. رأت شبحًا مضيئا يتلوى متجهًا إلى المركبة المحطمة ..

لم يكن ضوء خوذتها مضاء .. ربضت مكانها فى خوف .. ثم شعرت بصدمتين شديدتين .. تنتقلان إليها خلال الصخور ..

ولمحت (لمياء) رأسًا ضيقًا .. مرفوعًا .. وعينين حمراوين .. لامعتين ..

انخفض الرأس .. وانسل الشبح المتلوى .. متجها نحوها ..!!

كانت تفكر فى شىء واحد .. هو الهروب .. من هذا المخلوق الغريب !

ـ ٤ ـ

تمكنت من النهوض فى الظلام .. بعد أن سارت فى دائرة حلزونية .. رأت الرأس اللامع .. ينخفض أكثر فأكثر .. بين كتلة متشابكة من الصخور الضخمة ..

اندفعت (لمياء) إلى ممر خطير عبر المنحدر .. الذى يفضى إلى حطام المركبة العنكبوتية ..

كانت لوحة الأجهزة والقيادة مفككة .. والعدادات مكسورة .. وأذرع التشغيل مثنية .. وعرفت بسرعة .. أنه لا جدوى منها .. وأن المركبة لن تعمل مرة أخرى ..!

لمحت فى أسفل الحفرة .. المخلوق الغريب الفضى .. ينطلق على طول حافة الشق ..

حافظت على وجوده فى مدى الرؤية .. وفحصت رداءها الفضائى .. وأجهزته كلها .. كان كل شىء محكمًا .. وخزانات الأكسوجين .. وجهازها التنفسى الآلى .. لم يلحق بها أى ضرر ..

أخذت (لمياء) تفكر بهدوء .. وتركيز .. وهى تنظر إلى الكرة المعدنية المشقوقة .. وفتحتها المكشوفة للنجوم ..

لابد أن الكائن الغريب كان ملتفًا بداخلها .. ومنتظرًا لحظة خروجه .. طوال سنوات عديدة ..

ربما كان هناك جهاز حساس للضوء فى الكرة الضخمة .. مصمم بحيث يفتحها عندما يقترب الكويكب من الشمس .. لكن ضوء مصباحها حطم الكرة قبل الأوان !

واستيقظ الكائن الغريب الذى بداخلها .. قبل الزمن المحدّد له ..

تساءلت (لمياء) فى رعب :

ـ ما الذى سوف يفعله هذا الكائن الغريب .. بعد أن ردت له الحياة مرة أخرى؟ ومهما حدث .. فإن واجبها الأول هو تحذير مدينة الفضاء .. فوق كوكب (بلوتو) ..

شغّلت جهاز إرسالها الليزرى .. المثبت فى ردائها الفضائى .. كان مدى إرساله قصيرًا .. فالجهاز الكبير موجود فى القبة البلاستيكية ..

ولكن ربما كانت سفينة فضاء تمر بالقرب من الكويكب .. فتلتقط رسالتها !

انتظرت (لمياء) لعدة دقائق .. دون أن يصلها أى رد ..

ومن مكان وقوفها .. لم تكن النجوم مرئية .. ولابد أن إحدى الصخور العالية .. تحجب النبضات التى تبثها ..

كانت خسارة المركبة العنكبوتية .. بمثابة كارثة !.. إذ بقيت (لمياء) بمفردها .. تقف على قدميها .. بعيدًا عن القبة البلاستيكية .. بأربعين كيلومترًا !

أدركت أن فرصتها فى البقاء على قيد الحياة الآن .. ضئيلة جدًا ..!!.. وكان عليها أن تسير ببطء .. خشية اجتذاب هذا المخلوق الغريب .. إذا استخدمت الضوء ..

★ ★ ★

بدأت (لمياء) فى الهبوط بين الصخور المهدمة .. مع مراعاة الحذر البالغ ..

وقفزت مرات عديدة .. فوق بعض الشقوق .. التى لا داعى لإضاعة وقت طويل .. فى الالتفاف حولها ..

وعندما هبطت نصف المسافة المنحدرة .. رأت حركة ما .. بين الصخور .. جمدت لها أوصالها ..

فقد تحرك الكائن الغريب .. حركة ملتوية .. وظهر فوق قمة متكسرة ..

وشاهدت مرة أخرى .. الرأس المثلث .. وطوقًا متموجًا من الزوائد ..

اقتربت (لمياء) وهى ترتعد .. وهى تتحرك فى دوائر .. لترى الفتحة التى فى الكرة المعدنية .. بشكل مباشر ..

وبعد بضع دقائق .. خرج الكائن الغريب مرة أخرى .. بدا خشنًا .. وغليظًا ..

وفى مكان مستو خارج الكرة المعدنية .. انقسم إلى جزءين !

ورأت الآن أن أحدهما .. كان هو الكائن الغريب نفسه .. والآخر .. هيكل معدنى .. يبلغ طوله نحو ثلاثة أمتار .. ثم دلف الكائن إلى داخل الكرة .. وعندما خرج .. كان يحمل جهازًا منتفخًا .. بيضاويًا .. يثبت بطريقة مّا فى أحد أطراف الهيكل المعدنى ..

استمر يعمل لفترة طويلة .. مستخدمًا أعضاءه المفصلية .. التى تشبه الزوائد .. وتبرز أسفل رأسه مباشرة .. ثم رجع إلى الكرة .. إلا أنه خرج منها هذه المرة .. ومعه جسمان مكعبان كبيران .. وبدأ يركب هذين

الجسمين فى الطرف المقابل من الهيكل المعدنى .. ويربطهما بمجموعة من الأنابيب .. فى الجهاز البيضاوى الشكل ..

وأدركت (لمياء) أن هذا المخلوق الغريب .. يبنى مركبة فضاء !!

كان شكلها مختلفًا تمامًا .. عن أى سفينة فضاء تقليدية ..

فلم يكن لها هيكل مجوّف .. وإنما ضيق .. يمكن أن يتمدد فيه .. هذا المخلوق الغريب ..

وكانت متأكدة من وجود مواد مشعة .. فى الجهاز البيضاوى .. (بلوتونيوم) ٢٣٩ أو (يورانيوم) ٢٣٥ .. ولعله مفاعل نووى دقيق !

- ٥ -

وقفت (لمياء) فى هدوء غريب ..

ومثل جميع أفراد قومها .. كانت قد شاهدت أدلة على وقوع حروب .. فى عهود سحيقة .. بين كواكب المنظومة الشمسية ..

وأدركت بأنه إذا تمكن هذا المخلوق الغريب .. من الهروب .. فسوف يحدث دمارًا هائلًا .. بمدن الفضاء فوق الكواكب والأقمار الأخرى !

تقدمت (لمياء) إلى الأمام .. متحركة من حجر لآخر .. فقط .. عندما يكون الكائن مختفيًا عن ناظريها ..

انتهى المخلوق الغريب .. من تثبيت عدة أشياء غامضة صغيرة .. فى مقدمة الهيكل المعدنى .. ربما كانت أجهزة تفجير !!

ثم رجع مرة أخرى إلى الكرة الضخمة ..

وبدا لـ (لمياء) .. أن مركبته الفضائية .. أصبحت مكتملة !!

دق قلبها بعنف .. وغادرت مخبأها وتقدمت إلى الأمام .. على أطراف أصابعها .. وعندما أصبحت المركبة الفضائية فى متناولها .. خرج الكائن الغريب فجأة .. من الكرة المفتوحة ..

شق طريقه نحوها بجسده الهائل .. فى ضوء النجوم ..

دفعتها غريزتها إلى تحريك مفتاح الضوء .. فانطلقت أشعة الليزر من خوذتها الشفافة .. ولمحت للحظة أضلاعًا تشبه الهيكل العظمى .. وفكين متلألئين ..

ثم لم يلبث المخلوق الغريب أن ابتعد عنها .. واختفى فى الظلام ! واندفع بعد ذلك مذعورًا لا يلوى على شىء إلى داخل الكرة .. والتف حول نفسه .. مختبئًا ..

وعندما اصطدم به الضوء مرة أخرى .. لاذ بالفرار من فتحة جانبية ..

طاردته (لمياء) .. بالضوء .. وأمسكت به .. فى الركن البعيد من الصخرة المنخفضة .. المنحدرة ..

ولكنه غطس فى أخدود أرضى .. واختفى تمامًا !

★ ★ ★

عادت (لمياء) أدراجها إلى مركبة الفضاء الغريبة .. أخذت تدفعها بكل قوتها .. إلى المنحدر .. حتى انزلقت بسرعة .. واصطدمت بعنف بإحدى الصخور .. فانثنت وتطايرت منها قطعٌ صغيرة ..

كان الوعاءان قد انفصلا .. والجهاز البيضاوى قد اندفع بعيدًا عن مركبة الفضاء .. التقطته (لمياء) بحرص .. وقذفته بقوة ناحية الصخور القريبة .. فتحطم تمامًا !

★ ★ ★

لم تعد ترى الكائن الغريب .. فحملت قطع مركبة الفضاء المتفتتة .. إلى أقرب شق فى الأرض .. وألقتها فيه ..

وتحت ضوء أشعة خوذتها .. رأت هذه الأجزاء تسقط فى سكون .. ثم اختفت عن نظرها !

عادت إلى الكرة المعدنية .. وأخذت تفحصها من الداخل ..

كانت ممتلئة بأجهزة غريبة الشكل .. وبآلات عجيبة معظمها أكبر من أن يتحرك .. وبعضها منفصل يمكن حمله ..

لم تستطع (لمياء) أن تجزم ما إذا كانت هذه الآلات والأجهزة .. أسلحة مَا ..

ولكى تطمئن .. وتصبح فى أمان .. أخذت كل ما يمكن نقله .. وألقته فى المكان الذى تحطمت فيه المركبة الفضائية البيضاوية .. وشعرت بأنها قد أدت واجبها فى حماية المدن الفضائية .. وعليها الآن .. أن تعود إلى القبة البلاستيكية .. وتطلب نزول (قذيفة الهروب) ..

ثم تبتعد عن هذا المكان ..!

- ٦ -

عادت إلى أعلى المنحدر .. مارة بمركبتها العنكبوتية المحطمة ..

كانت الصخور تطل عليها من مئات الأمتار .. فوق مستوى رأسها .. أدركت أنه من المستحيل تسلق هذه الصخور .. بسبب شدة انحدارها .. فأخذت تسير حولها .. حتى وصلت إلى شق أرضى كبير ..

لفت حوله دورة كاملة .. قبل أن تقتنع بأنه لا مهرب لها !

كان العرق يتصبب من جسمها تحت درعها ..

وبدت القمم الوعرة للجبال .. مائلة إلى الأمام .. تحدق فيها بسخرية !

وقفت (لمياء) ساكنة .. حتى تهدأ .. ويزول اضطرابها ..

كانت العدادات تبين أن أمامها فترة لا تقل عن خمس ساعات .. حتى ينتهى الأكسوجين الذى تتنفسه ..!

اختارت ما بدا أنه أسهل صخرة أمامها .. وأخذت تتسلقها بقوة ..

وبدأ البرد يؤثر فى قفازيها الحديديين .. مثل إبر من نار ..

كانت أقل ملامسة مع الصخور .. مؤلمة ..

أما التشبث بقوة .. فهذا العذاب بعينه !

كادت أن تصل للقمة .. عندما بدأت أصابعها تضعف ..

فأخذت تهوى إلى أسفل !

سقطت (لمياء) ببطء على طول المنحدر .. الذى تسلقته بمشقة بالغة .. ثم ملكت زمام أمرها .. بجهد كبير ..

استراحت .. وهى ترتعد أسفل المنحدر ..

أصابها القنوط .. واليأس ..

كانت فتاة فى ربيع العمر .. ولم تكن تحب أن تموت .. حتى لو كانت ميتة سريعة .. وسهلة ! بعد أن يفرغ الأكسوجين من ردائها الفضائى .. أو إثر أى جرح يتسبب فيه .. أحد نتوءات هذه الصخور !

★ ★ ★

نظرت إلى الأرض الملبنة بالشقوق الكبيرة .. فلمحت فجأة .. حركة خاطفة فى ضوء النجوم ..

لقد عاد المخلوق الغريب .. مرة أخرى ..

والآن .. ماذا تفعل بعد أن تحطمت وسيلة هربها ؟!

وبعد عدة لحظات من التردد .. سارت بتثاقل على المنحدر .. فى اتجاه الكائن ..!!

وفى منتصف الطريق .. تذكرت أن تطفئ أضواء خوذتها .. حتى لا يهرب المخلوق الغريب .. بعيدًا عنها ..

كانت أرض الكويكب ممتلئة بالفوهات والشقوق التى لا تعد .. ولا تحصى .. وبجانب إحدى الصخور القريبة .. كان الكائن يقذف بنفسه .. إلى الأمام .. وإلى الخلف ..

استدارت (لمياء) لمواجهته .. بعد أن قفزت فوق آخر شق أرضى .. ورأت عينيه الحمراوين ..تلمعان فى الظلام .. وتألقت دائرة أذرعه المفصلية الرفيعة .. التى توجد كطوق خلف رأسه ..

وبينما هى تقترب منه .. ارتدت رأسه إلى أعلى .. وابتعد فكاه الكبيران .. عن بعضهما ..

أحست (لمياء) ببرودة فى جسمها .. واشمئزاز هائل .. لم تشعر بهما من قبل .. عندما شاهدت هذا الكائن الغريب .. عن قرب ..

ويرجع هذا إلى إشعاع معين .. من الشر .. والكراهية ! وصلها مباشرة منه .. كما لو كان يقول لها :

ـ أنا الموت .. أتيت للقضاء عليك !!

حدقت فيها العينان الحمراوان .. الرهيبتان .. بنظرة ملؤها الحقد الهائل !

تساءلت (لمياء) فى نفسها :

ـ كيف يمكننى أن أجعل هذا الكائن .. يفهم ؟!

كان جسد الكائن الغريب ملتويًا .. وقويًا .. وأذرعه المفصلية يمكنها أن تقبض بعنف .. على أى شىء .. ويبدو أنها خُلقت للتسلق .. وليس للقفز ..

وفجأة وصل اشمئزازها من الكائن الغريب .. إلى درجة لا يمكن تحملها .. فاستدارت .. وقفزت من فوق الشق .. مرة أخرى ..

وفى الجانب البعيد .. نظرت خلفها ..

كان الكائن يتمايل .. وأكثر من نصف طوله بارزًا فوق الصخور .. ثم اندفع حتى حافة الشق الأرضى .. وانتصب واقفًا .. وفكاه متباعدان .. وعيناه تلمعان ..

كانت الأحاسيس المشتركة بينهما .. الاشمئزاز .. والكراهية .. والخوف ..

وعندما حدقت (لمياء) فى الكائن .. وجدته يرتعد مثلها تمامًا ..

فمهما كانت المادة المصنوع منها جسمه .. فلا يمكنه أن يعيش دون دفء ..

لقد حطمت أجهزته وأدواته .. وأصبح الآن مثلها .. فى مأزق !

وتساءلت مرة أخرى :

ـ كيف يمكننى أن أجعله يفهم ؟

سارت مبتعدة عدة خطوات .. بطول حافة الشق الأرضى .. ثم قفزت .. إلى ناحية الكائن ..

راقبته جيدًا ..

لابد أنه يتمتع بقدر من الذكاء ..

وقد أدرك أنها ليست من سكان هذا الكويكب ..

ومن ثم فإن لها وسيلة مَا .. للهروب من هنا !

فردت (لمياء) يديها إلى أقصى مدى ..

وردًا على ذلك .. اتسعت دائرة زوائد الكائن الغريب !

لكن هل كان ذلك .. إشارة إلى التفاهم .. أم القتال ؟!

كبتت خوفها .. ونفورها الشديد .. وسارت مقتربة منه ..

تمايل الجسم العملاق للكائن .. فوقها فى ضوء النجوم .. ورأت الآن ..أن الأجزاء المكونة لجسده .. عبارة عن حلقات .. انزلقت بسهولة .. واحدة فوق الأخرى .. وكان لكل حلقة .. فتحة صغيرة من أسفل ..

بدا لها أن سلوك الكائن .. كان قريبًا جدًا .. من الحذر والشك .. اللذين يتميز بهما الإنسان .. عندما يواجه موقفًا صعبًا !

أشارت إلى نفسها ثم إليه ...

ثم استدارت وقفزت عبر الشق الأرضى .. وعادت مرة أخرى ..

أشارت إلى نفسها .. وإلى الكائن الغريب .. ثم مدت ذراعها الأيمن .. عبر الشق .. فى حركة بطيئة .. وانتظرت ...

وبعد فترة طويلة .. تحرك الكائن ببطء إلى الأمام .. وتراجعت هى .. حتى أصبحت على حافة الشق .. وأخذت ترتعد ...

انخفض الرأس الضخم للكائن .. وتحركت دائرة زوائده .. حركة موجيّة إلى الأمام .. لتلتف حول معصمها .. وحدقت العينان الحمراوان .. بنظرة نافذة فى عينيها .. من مسافة تقل عن المتر ..

استدارت (لمياء) واستأنفت القفز بقوة .. وحاولت أن تراعى وزن الكائن ..

ولكن قوة الجذب غير العادية على ذراعها .. أسقطتها على الأرض !

وكان المخلوق الغريب يهتز .. وهو قريب جدًا ..

وبدافع من غريزتها .. لمست مفتاح الضوء فى خوذتها .. وسرعان ما بدأ الكائن يهرب .. وهو يتلوى ..

أخذ قلبها يدق بعنف .. حتى ظنت أنه سيخرج من حلقها ..

وبمجهود أطفأت .. أشعة الليزر ..

فظهر الكائن أمامها .. فى انتظارها .. وبعيدًا عنها .. بنحو عشرة أمتار !

★ ★ ★

وعندما تحركا مرة أخرى .. راعت (لمياء) أن تحافظ على المسافة التى تفصل بينهما ..

وعندما وصلا إلى الشق الأرضى التالى .. وقفت ساكنة حتى اقترب منها .. ووضع زوائده القابضة على ذراعها ..

وفى الجانب البعيد افترقا ..

وبهذه الطريقة عبرا أربع جزر من الصخور .. قبل أن يصلا إلى أحد المرتفعات الوعرة ..

دفع الكائن الغريب .. جسمه ببطء إلى أعلى .. ومدّ زوائده القابضة إلى آخرها .. واهتز ذيله بحرّية .. ثم استدار جسمه الطويل .. الرشيق .. ونظر إلى (لمياء) ..

ففردت ذراعيها ..

تردد الكائن برهة .. ثم ألقى بزوائده لتلتف حول جسدها .. فى صوت خفيف .. هادئ ..

كان الكائن الغريب .. باردًا .. ولكن ليس فى نفس صقيع الصخور .. المخدر للأحاسيس ..

بعد عدة لحظات وجدت (لمياء) نفسها .. مرفوعة فى الهواء .. تأرجحت النجوم حول رأسها .. وأحست بدوار شديد ..

ثم أنزلها الكائن على قمة الصخور ..

وبرغم صدمتها بما حدث .. إلا أنها تبعت الكائن الغريب .. وهو يتحرك ببطء على الأرض .. المنحدرة .. المتكسرة ..

وبرغم أن زوائده مازالت تؤلم جسدها .. إلا أنهـــا أحست بالشكر له ..!

ارتفع رأس الكائن .. وسط الوادى الشاسع .. منتظرًا قدومها .. ثم سارا معًا .. كل منهما ينظر إلى الآخر ..

لم تكن هناك لغة مشتركة .. ولكن بدا أن التفاهم كان .. كاملًا !! والعرفان بالجميل .. متبادلًا ..

وضعت (لمياء) يدها على مفتاح وحدة الاتصال بالليزر ..

ترددت لحظات .. ثم أبعدت يدها .. وهى تتساءل فى نفسها :

ـ ماذا أخبرهم ؟!.. وهل سوف يفهمون ؟!

مرّ الوقت سريعًا ..

وعندما عبرا إحدى المناطق .. كان هناك ضوء أرجوانى بارد .. يتلألأ بين الصخور .. عرفت (لمياء) أنها فى الطريق الصحيح .. إلى القبة البلاستيكية ..

اعتمدت فى إرشادها على النجوم ..

وعند كل شق أرضى .. كان الكائن يلف زوائده حول كتفيها .. ليجتازاه بسرعة ..

وأمام كل صخرة وعرة .. كان يحملها كالدمية .. من وسطها .. ويرفعها فى منحنيات طويلة .. حرة .. إلى القمة ..

وعندما وقفت (لمياء) على أحد المرتفعات الشاهقة .. ورأت على البعد القبة البلاستيكية .. عرفت أنها فقدت الإحساس بالزمن ..!

وصدمتها هذه الحقيقة المروّعة .. فنظرت فى هلع إلى مؤشرات العدادات ..

كان الأكسيوجين المتبقى .. يكفيها لمدة نصف ساعة فقط !!

ـ ٧ ـ

أيقظت هذه المعلومة .. جزءًا من عقلها .. كان غارقًا فى سباته ..

إحساس عذب .. يلامس أعماقها ! وعرفت أن الكائن الغريب .. قد شاهد القبة البلاستيكية أيضًا .. وبدا عليه الآن .. توتر جديد ! وثبات فى طريقة تحديقه إلى الأمام ..

حاولت تذكر التضاريس التى تقع بين هذا المكان .. ومنزلها ..

لقد مرّت من هذه الطرق .. عشرات المرات .. ولكن دائمًا فى مركبتها العنكبوتية .. كان الموقف مختلفًا جدًا الآن ..

فالصخور العالية التى كانت عقبات مؤقتة فيما سبق .. أصبحت سدًا لا يمكن اختراقه ..

لقد تغير الشكل العام للمنطقة !!

ولم تعد تثق بالعلامات الأرضية .. التى وضعتها هى نفسها .. مرًا بآخر منطقة ألغام ..

كان الضوء الأرجوانى البارد .. منتشرًا على الصخور .. بلا انتظام .. وتذكرت (لمياء) .. أنه وراء هذه المنطقة يجب أن يكون هناك .. شق أرضى واسع !

أما الكائن الذى يسير على بعد عدة أمتار منها .. فلم يكن ينظر فى اتجاهها ..

لم يبق لها من احتياطى الأكسوجين .. إلا ما يكفى لعشرين دقيقة ! أخذت تركض بسرعة نحو الشق الأرضى .. وصلت إلى حافته .. ثم قفزت .. وفى الجانب الآخر .. استدارت .. ونظرت ..

كان الكائن الغريب يتلوى إلى الأمام .. وإلى الخلف .. عند حافة الشق .. وزوائده تمتد فى غضب .. وعيناه الحمراوان تومضان .. وبعد لحظات خفت حركته .. ثم حدقا فى بعضهما .. عبر فترة من الصمت !

كانت لا تستطيع أن تحمله معها .. بوزنه الثقيل .. عبر هذا الشق الواسع .. أحست بحزن عميق .. ثم ابتعدت بسرعة ..

★ ★ ★

دلتها المؤشرات على أن أمامها .. خمس عشرة دقيقة أخرى ..

انطلقت بخطوات رشيقة .. فى اتجاه القبة البلاستيكية .. وسرعان ما وجدت نفسها .. تهبط إلى داخل واد ضيق منحدر .. تعرفه جيدًا .. وحولها كانت العلامات التى اعتادت أن تأخذها معها .. فى مركبتها العنكبوتية ..

وفجأة .. وجدت أمامها .. صخرة شاهقة جدًا .. لابد من اجتيازها .. بسرعة !!

وفجأة أدركت أنها ضلّت الطريق .. وكان الأكسوجين يكفيها لمدة سبع دقائق فقط !

وانتها فكرة عاجلة .. بأن يكون الكائن الغريب فى نفس المكان .. الذى تركته فيه .. وإذا عادت إليه مباشرة الآن .. بدون أن تضيّع ثانية واحدة .. فربما يتبقى أمامها وقت كاف ..

استدارت إلى الخلف .. وتحركت بخطوات سريعة .. تعثرت مرة .. ثم تمالكت نفسها فى الوقت المناسب .. لتتجنب سقوطًا مميتًا ! ولكنها لم تجرؤ على إبطاء سرعتها .. أو التوقف للحظة واحدة .. فقد كان الموت .. قريبًا جدًا منها !

وفى داخل خوذتها بدأت تلهث .. وإزداد تكاثف بخار زفيرها ..

نظرت إلـى مؤشرات العـدادات .. ووجـدت أن احتياطـى الأكسوجين .. يكفى لمدة خمس دقائق أخرى !

كان المخلوق الغريب فى مكانه .. بدت الرأس الضخمة خالية من أى تعبير .. والفكان مغلقان .. ومجموعة الزوائد ساكنة تمامًا .. ولكن من وقت لآخر .. كان أحد أعضائه المفصلية يهتز فجأة ..

أسرعت بحركات عصبية .. بالتعبير الصامت عن حاجتها .. مدت ذراعيها إلى الأمام .. فانزلق الكائن نحوها .. اقترب وأحاط زوائده يكتفيها .. أصبحت تتنفس بصعوبة .. فنظرت إلى المؤشرات فى هلع .. ربما تبقى معها من الأكسوجين .. ما يكفيها لدقيقة واحدة أو دقيقتين .. وبعدئذ خمس أو ست دقائق .. من إسفكسيا الاختناق .. ثم ينتهى كل شىء !

وصلا أخيرًا إلى القبة البلاستيكية .. وسار الكائن بجوارها كالزنبق بين الصخور ..

نظرت (لمياء) إلى السماء .. كان شىء مَا يحدث هناك عند الأفق ..

السفينة الفضائية الخاصة بأمها (منى) .. فى الطريق إلى الكويكب .. ولكنها سوف تصل متأخرة !.. تحسّست بسرعة مفتاح وحدة الاتصال .. وخرج صوتها أجشّ .. وغريبًا :

ـ أمى !

أحسّت فجأة بألم فى صدرها .. وبضعف بصرها .. وبدوار شديد .. وشعور بالإغماء ..

جمعت كل قوتها .. وقفزت بعيدًا .. وكان الكائن الفضى .. ما زال يسير بجوارها .. وهو يتأرجح من جهة لأخرى ..

فجأة دوى طنين الموجة الحاملة .. فى سماعتيها :

ـ (لمياء) .. هل أنت بخير ؟!

سمعت الكلمات ولكنها لم تع معناها ...

حاولت أن تجيب على النداء .. ولكن لسانها الثقيل لم يستطع أن يجد الكلمات ..

لقد اقتربت الآن من القبة البلاستيكية .. وأمكنها أن ترى بصعوبة الصمام المرن فى مدخله .. ثم سقطت مغشيًا عليها !!

ـ ٨ ـ

عندما استيقظت .. كانت تتنفس بشكل أفضل .. وكان هناك خزان بيضاوى أبيض اللون .. مثبت على ظهرها ..

لقد أعطاها الكائن مخزونه من الأكسوجين !

نظرت بسرعة إليه ..

كان ملتفًا حول نفسه .. فوق جهاز الإرسال والاستقبال ..

وأمكن لها رؤية المقبض الأحمر الداكن .. لجهاز إطلاق الإشارة لقذيفة الهروب ..

وبينما هى تلاحظ ما يحدث .. أمسكت إحدى زوائد الكائن .. بالمقبض الأحمر .. ودفعته إلى أسفل ..

وبعد لحظات بدا أن الضوء البرتقالى الزاحف فى السماء .. يقف ثم يكبر ببطء ..

انفجر الضوء فجأة إلى نجم ساطع .. ثم إلى وهج ذهبى ..

هبطت قنيفة الهروب .. فى الوادى الصخرى .. على بعد مائة متر .. من القبة البلاستيكية .. وأومض مصباح أحمر بها .. ثم شاهدت (لمياء) الجسد الضخم للكائن الغريب .. ينهار فوق الأرض .. وأدركت أنه قد ضحى بنفسه من أجلها !

نظر إليها بعينين .. حمراوين .. مخيفتين .. ولكنهما يمتلئان بالحب !

اقتربت منه متهيبة .. ووضعت يدها بحنان على الرأس الضخم ..

تحركت الزوائد قليلا .. وتألقت العينان الواسعتان للحظات .. ثم أغلقتا .. للأبد !

تأملته مليًا .. وتترقرق دمعة فى عينيها .. وتفيض نفسها بحزن عميق .. يمزقها ..

سارت بخطوات متثاقلة نحو قنيفة الهروب .. وسرعان ما ارتفعت فوق عمود من اللهب .. لتلتقى بسفينة أمها ..

تهالكت (لمياء) فى غرفة القيادة .. والأسى يطوق قلبها بإكليل من الشوك !

ثم نظرت من كوة كبيرة .. إلى الكون .. وتراءت لها بين النجوم .. عينان مخيفتان .. ولكنهما تمتلئان بالحب الغريب ..

المستحيل !!

★ ★ ★

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوقا للخيال العلمى

سحابة الموت

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

منتصف القرن الثانى والعشرين .. قبعت الشمس الضخمة وقت الغروب .. فى الأفق المنحنى البعيد للسهول والبرارى .. بينما تتحرك شرائط السحب الداكنة المتقاربة .. كالنذير .. عبر وجهها البرتقالى ..

كان الهواء ساكنًا .. وبارذا .. ثم أخذت السحب تنزلق مسرعة تجاه الجنوب .. صانعة أشكالًا مختلفة ..

ومن خلال الأعشاب الميتة .. المتشابكة .. وسيقان النباتات المتفرقة فى البرارى .. ظهرت البقايا الضيقة .. المتهالكة لطريق مًا .. تبدو فيه كتل من الطمى .. قد تصلبت من التجمد ..

وفى الضوء الخافت .. ظهرت عدة حفر .. كما لو كانت قد نشأت من سقوط النيازك ..

ولكن الأمر لم يكن كذلك .. لأن هذه الحفر العميقة .. الغائرة فى الأرض .. والتى امتلأت بالثلوج .. كانت عبارة عن الآثار التى خلّفتها انفجارات نووية مروّعة !! وبدا واضحًا للعيان .. قدر كبير .. من الأسلاك الشائكة .. ووراءها خندق متعدد الانحدار .. به عدة كهوف وفجوات صغيرة ..

أصبحت الآن هادئة .. وفارغة .. على فواصل فى جداره الخلفى ..

وبخلاف ذلك .. لم يكن هناك أية مبانٍ أو آثار أو أطلال !

وفجأة طار سرب من الطيور البيضاء .. تجاه الجنوب .. وسُمع صوت رفيف أجنحتها .. ثم لم يلبث أن ساد السكون .. والهدوء .. بعد رحيلها ..

- ١ -

جاء عواء الذئاب الجائعة .. التى طال انتظارها ..

وإلى الشمال بالقرب من جدول مياه راكدة .. حفرت صومعة ذات فتحة واحدة .. تشبه فوهة المنجمّ .. وبداخلها بدت نار مشتعلة .. بشكل باهت .. وغائم ..

جاء الضوء من الاحتراق البطىء .. لأربع من الكتل الخشبية المتفحمة .. التى أحدثت قليلًا من الدفء .. وكثيرًا من الدخان الكثيف ..

ولكن بواقى الخشب الثمين .. الذى اقتطع من السور القديم .. أو من حفريات ومخابئ مهجورة منذ زمن طويل .. كان من الواجب ادخارها .. لأوقات البرد القارص .. حيث تهب العواصف الثلجية العنيفة .. لمسافات شاسعة ..!

★ ★ ★

وحول بقايا الأخشاب نصف المتفحمة .. وهى تحترق ببطء .. جلس أربعة رجال فوق مصطبة أرضية منبسطة .. ومفروشة ببعض البطاطين الرثّة ..

وفى كوة من الجدار المقابل فى الصومعة .. كانت تتلألأ بعض الأوعية النحاسية .. فى الوهج الصادر من النار المشتعلة ..

ولفافة من القماش الأسود .. تحتوى على أربعة كتب مغلفة بالجلد .. الباهت ..

تحدث أحد الرجال الأربعة .. كان مسنًا .. ذا لحية طويلة .. ملبَّدة الشعر .. وقد أضفت الظلال على حاجبيه الكثيفين .. وعظام وجنتيه البارزتين .. شيئًا من التوتر والقلق .. وكانت عيناه غائرتين .. ويداه الضخمتان .. خشنتين .. بفعل الصقيع .. ومتورمتين من جراء الإصابة بالروماتيزم .. كان يبدو مثل كاهن قادم من عصور ما قبل التاريخ .. وهو يؤدى طقوسًا جنائزية .. وبدا فى صوته .. رنة يأس عميق ..

قال الرجل العجوز (س) :

ـ عندما فهمت .. وأدركت ما يحدث .. قلت لنفسى .. إنها النهاية .. ولا أستطيع أن آخذ الكثير .. فاخترت هذه الأشياء فقط ..

توقف لبرهة ثم استطرد ، قائلًا :

ـ .... ربما كنت شخصًا غير عملى .. ولكننى لم أندم قط .. لقد احتفظت بالأشياء التى أحبها .. وتذكرنى بالماضى ..

ثم نهض فى ألم .. وتناول لفافة القماش الأسود ..

لاحظه الآخرون باهتمام شديد .. وكأنه يمارس شعائر معينة ..

قال أحدهم (م) بصوت أجش :

ـ الثلاثية لنجيب محفوظ .. الحرب والسلام لتولستوى .. هملت لشكسبير .. البؤساء لفيكتور هوجو ..

رد آخر (ا) هامسًا :

ـ آه ما أروع القراءة ! سوف يتبقى لنا قليل من الروح الملهمة الخلاقة .. إلى أن نموت ! إن هذا أكثر من حقيقى بالنسبة لنا .. إن عقلى سيصبح واهنًا .. تمامًا مثل يدىَ ..

ورفع يديه الضخمتين .. الكليلتين .. بأظفارهما السوداء الطويلة .. ليظهرا فى النار المقادة .. ثم أضاف ،قائلًا :

ـ ... أريد ورقًا للكتابة .. ولكن لا يوجد أى ورق !

لم يقل الرجل الرابع شيئًا .. بل جلس فى الظل .. بعيدًا عن النار .. وكانت أسمال ثيابه تهتز من البرد .. من وقت لآخر ..

وبرغم أنه بدا صغير السن .. إلا أنه كان مريضًا .. وكثير السعال ..

كانت فكرة الكتابة .. توحى بمستقبل مشرق ! أكثر مما يشعر الآن .. بأنه مؤهل له ..

★ ★ ★

جلس الرجل العجوز (س) بإرهاق .. وهو يتأوّه من أى حركة يقوم بها .. لوضع قطعة خشب أخرى فوق النار المتأججة ..

عبّر الرجال الثلاثة الآخرون عن عرفانهم بعمله هذا .. الذى ينم عن الشهامة .. بحنى رءوسهم .. وتفادى مواجهة نظراته ..

فقطعة الخشب .. تضحية كبرى .. بموارد هامة !

قال (أ) :

ـ نحن نشكرك .. على إتاحة الفرصة لنا .. للقراءة !

بدا أنهم ينتظرون شيئًا مّا ..

وفهم (س) ذلك ..

وكان لابد من الامتثال .. فقد أصبحوا قريبين جدًا منه ..

قال (س) بتؤدة :

ـ تريدون سماع الموسيقى ! أليس كذلك ؟!

حدق (م) و (ا) فى النار .. وهما غير قادرين على التعبير ..

لكن الشاب قال بقلق .. وهو يكتم سعاله :

ـ أجل .. من فضلك !

وكان فى حالة من الشوق واللهفة .. كالأطفال تمامًا !

قام الرجل العجوز مرة ثانية .. بنفس الصعوبة .. وذهب إلى مؤخرة الصومعة .. ثم عاد ووضع برقة بالغة .. على الأرضية العالية التى يسقط عليها .. ضوء النيران .. (حاكيًا قديمًا) نقّال .. داخل صندوق أسود .. مسح أعلى الصندوق بيده .. ثم فتحه .. وظهر فى الداخل .. قرص جميل مغطى باللباد الأخضر ..

قال الرجل العجوز ، وهو يلهث :

ـ كنت أستخدم أشواك النباتات كإبر .. لتشغيل الحاكى .. ولكن الليلة ولوجود موسيقىً بيننا ..

وحنى رأسه للشاب الذى لا يكاد يُرى .. لجلوسه بعيدًا فى الظل .. ثم استطرد ، قائلًا :

ـ ... سوف أستخدم إبرة من الصلب .. ولا يوجد سوى ثلاث متبقية منها !

حدقوا فيه بإعجاب شديد .. دون أن يتلفظوا بكلمة واحدة ..

صاح الشاب .. كما لو حدث ما يكرهه :

ـ أرجوك لا تفعل ذلك .. إن الأشواك سوف تخرج أصواتًا جميلة حقًا !

ردّ العجوز بسرعة :

ـ لقد اعتدت على الأشواك .. ولكنها ليست جيِّدة فى الحقيقة .. وبالنسبة لك يا صديقى .. فسوف نسمع موسيقى رائعة الليلة .

ثم أضاف بعد برهة .. بصوت هامس :

ـ .... إنها لن تعيش إلى الأبد !

قال الشاب بصوت خفيض .. منفعل .. وهو يكتم سعاله بخفض رأسه :

ـ لا أدرى كيف أشكرك .

بدأ العجوز يملأ الحاكى .. الذى أحدث صريرًا حادًا .. وبعد أن انتهى .. قال بلهجة اعتذار :

ـ إن الاسطوانات متآكلة جدًا .. وأنا لا أشغلها أكثر من مرة واحدة فى الأسبوع ..

ردّ (م) بصوت جاف :

ـ تكفى مرة واحدة !.. وعلى المدى الطويل .. سوف توحى إلينا الموسيقى .. بالكثير من الأشياء الجميلة التى كانت فى هذا العالم !

قال الشاب بصوت مفعم بالرجاء :

ـ من فضلكم .. أريد سماع الموسيقى !

كان فى حوزة الرجل العجوز عشر اسطوانات .. عليها أختام حمراء وذهبية كبيرة .. وحتى فى الضوء البسيط للنيران المتأججة .. أمكن للآخرين رؤية شدة تآكل أسنان لوالب الاسطوانات ..

قرأ الشاب ببطء أسماء الموسيقيين .. (بتهوفن) .. (سيد درويش) .. (كورساكوف) .. (شوبان) ..

استعرض الرجال الثلاثة فى عقولهم .. هذه الأسماء الخالدة .. ولكن كان من الصعب اختيار ما يريدون سماعة .. فى البداية .. (كونشرتو) .. (سوناتا) .. (موسيقى شرقية) ..

صاح الشاب المريض :

ـ يا إلهى !.. لا أستطيع الاختيار !

ولم يستطع أن يزيد كلمة واحدة .. على ذلك .. لانخراطه فى نوبة من السعال ..

أخذ الرجل العجوز يقرأ أسماء الموسيقيين مرة أخرى .. بحيث يمكنهم تذكر المقطوعات الموسيقية مرة أخرى ..

كان يجلس مستندًا على الجدار .. مغلقًا عينيْه .. ويده الخشنة تعبث فى لحيته الخفيفة .. وفى خيالهم المكدود .. استمعوا إلى أصوات الكمان .. والعود .. والمزمار .. وفرق أوركسترا سيمفونية كاملة .. وآلات موسيقية منفردة ..

وتألقت الصومعة .. بسحر وروعة الموسيقى ! ثم اختاروا أخيرًا أسطوانة (سيد درويش) .. (زورونى كل سنة مرة) ..

ركعوا على ركبهم .. وهم يشاهدون العجوز يجهز الاسطوانة للسماع .. كانوا يبدون كمن يؤدون طقوسًا معينة ..

وأظهر وهج الخشب المحترق .. وهن وجوههم الملتحية .. وعيونهم الكليلة .. والتجاعيد العميقة .. كما كشف عن ثيابهم الرثة ..

أخذ الرجل العجوز يخفض بحذر الإبرة .. على القرص الدوّار ..

أما الشاب الموسيقىّ فقد تقهقر .. واستند إلى الجدار البارد .. وهو يرفع ركبتيه لأعلى .. ويدفن وجهه بين كفيه ..

ذهل المستمعون من النغمات الأولى .. نظر كل منهم إلى الآخر .. حتى الشاب .. رفع رأسه فى دهشة واستغراب .. ثم لم يلبث أن خفضها بسرعة مرة أخرى .. فى وهن شديد .. كما لو كان يعانى ألمًا لا يستطيع تحمله ..

كانوا جميعًا ينصتون باستغراق عميق .. دون أى حركة ..

انبعثت النغمات الرائعة من الآلات القديمة ..

[زورونى كل سنـة مـرة ..

ماتنسـونيش كده بالمرة ..

حـرام .. حـرام ..]

لم تكن كلمات .. بل أطياف وأرواح فردية .. متألقة .. داخل الصومعة .. ولم تلبث أن تشابكت فى شكل موجة .. مطرزة بالماس .. الذى يعكس كل ألوان الطيف ..

ثم استمرت هذه الموجة الفياضة فى المدّ .. والجزر .. فى الزيادة والنقصان .. كان كل صوت ثاقبًا .. وعذبًا بشكل لا مثيل له .. ويُحدث أثرًا عميقًا .. فى التذكر العميق المأساوى .. لما أصاب العالم ..!!

وفى النهاية حينما خفت الصوت .. وبدأت الموسيقى تتلاشى .. سار العجوز بهدوء .. لكيلا يسمعه الآخرون .. وينظروا إليه ..

أما الشاب فقد ترك رأسه .. يسقط إلى الوراء .. فى ألم مبرّح .. كما لو كان أحد يشدّ شعره الطويل .. وتشنّجت إحدى يديه فوق عينيه .. الكليلتين ..

جلس على هذا النحو .. وركبتاه ترتعشان بشدة .. بينما كان الرجلان الآخران .. صامتين .. يحدقان فى النيران المشتعلة .. وقد ترقرت الدموع فى عيونهما !

ـ ٣ ـ

رفع الرجل العجوز الإبرة بسرعة ليحافظ عليها .. ولا يتلف الأسطوانة الأثرية .. بخدشها ..

وبعد أن توقف القرص المغطى باللباد الأخضر .. ترك الحاكى مفتوحًا .. ومرنيًا ..

فهم الآخرون المعنى .. وراء ذلك ..

اندفع الشاب نحو الفتحة إلى الخارج .. وهو يخفف عبراته .. بينما توقف الآخران .. وعبّرا عن شكرهما بأصوات هامسة ..

ثم قال (م) :

ـ مازلنا نحتاج للمعنى المجرد .. إذا أردنا فهم أى شىء ! بعيدًا عن الشتاء النووى .. وقطع الخشب المتفحمة .. وفخاخ الأرانب البرية !!

هزّ العجوز رأسه .. بشكل وقور .. ووجه إليهما الدعوة بقوله :

ـ سوف أنتظركم خلال أسبوع .. لنستمع للسيمفونية الخامسة لبتهوفن !

وبعد أن خرج الرجلان .. تجاه الطريق المغطى بالثلوج .. وقف العجوز فى المدخل يحدق إلى بعيد .. وينصت ..

فى البداية لم يكن هناك سوى هدير .. رنان .. للرياح .. ثم سمع عواء الذئاب .. ورأى فوق قبة السهل المعتم .. الخالى من الحياة .. من خلال الفراغات التى بين السحب القاتمة .. عدة نجوم شاحبة ..

تأثر الرجل العجوز عندما حجبت مقدمة سحابة كبيرة .. أحد هذه النجوم .. فقد كان منظرها رائعًا .. يوحى بالنقاء .. والسلام ..!

★ ★ ★

أنزل العجوز بيدين مرتعشتين قطعة من قماش الخيام .. التى كان يستعملها كغطاء لصومعته .. وثبتها من أسفل بوتد .. ثم نظر بسرعة وهدوء إلى قطعة القماش .. وهى تغطى الفتحة تمامًا ..

تحرك ببطء داخل الصومعة .. وأدخل الاسطوانات الأثرية .. فى صندوقها .. بحرص بالغ .. ثم أغلق غطاءه ..

وحمل الحاكىَ .. إلى فجوة عميقة فى الجدار .. ووضعه فيها ..

وبعد تفكير لعدة لحظات .. عاد وأحضر لفافة الكتب .. وأدخلها فى الفجوة أيضًا .. ثم رقد مواجهًا المدخل .. فوق البطانية الرثة ..

وبعد أن وضع بعناية قطعتين صغيرتين من الخشب .. فى النيران .. نظر لآخر مرة .. إلى قماش الخيام الذى يغطى فتحة الصومعة .. حيث بدأ ينتفخ .. ويتموج .. من أول هبة من الرياح المكفهرة .. الباردة .. ثم أغلق عينيه الحساستين للدخان .. واستغرق فى نوم عميق ..

وفى الخارج ...

اقترب عواء الذئاب ..

★ ★ ★

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوقا للخيال العلمى

لغز
الكوكب الغامض

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

ارتدى الكوكب قناعا كثيفا .. وعلى مسافة عشرة ملايين كيلومتر .. كان عبارة عن عين صفراء حزينة !

أما على بعد مليون كيلومتر فقط .. فبدا كنظرة خبيثة .. مروّعة ..

وخارج دائرة الضباب .. تعمقت سفينتنا الفضائية (القزويني) .. قبل هبوطها .. فوق هذا الكوكب الغامض .. حيث يوجد ستار بشع من الزوائد الحساسة السوداء .. والغبار السطحي الشاحب .. الذى يخفى لغز الكوكب ..!

★ ★ ★

وفى معظم الكواكب التى اكتشفناها خارج المنظومة الشمسية .. كانت الحياة عليها تماثل حياتنا .. ولكن بشكل مبهم ..

فمن المعروف أنه بالرغم من الاختلاف الكبير فى الوظائف التى تقوم بها الخلايا المختلفة .. إلا أنها تشترك فى صفات تركيبية عامة فيما بينها .. ومن أهمها .. وجود أجسام خيطية تسمى الكروموسومات .. التى تحتوى على المورثات .. المسيطرة على العوامل الوراثية فى الكائنات الحية .. وتتكون هذه المورثات .. من حامض نووى عبارة عن جزئية طويلة معقدة .. تتركب من سلسلتين لولبيتين طويلتين تلتفان حول بعضهما .. وترتبطان بروابط جزيئية .. تتضاعف عندما تنقسم الخلية .. وتحمل البصمات المعقدة

للكائن الحى .. لآلاف السنين .. وتشترك فى تركيب هذا الحامض النووى .. أربعة جزيئات أساسية .. تدعى بالقواعد النيتروجينية .. وهى الأدنين .. والثايمين .. والسايتوسين .. والكوانين ..

وتشكل هذه القواعد ما يسمى .. بالشفرة الوراثية .. التى تسيطر على الخلية الحية .. وتتحكم فى وظائفها ! وتحمل رسائل وراثية معينة ..

- ١ -

لكن حتى المورثات فى نباتات هذا الكوكب الغامض .. كانت مختلفة .. وشديدة التعقيد ..

فنحن نجد هنا أبسط الأعشاب .. كانت لها سلاسل من الحامض النووى .. أكثر وأطول من أى نبات رأيناه فى أى كوكب آخر .. فماذا كانت الرسالة التى تريد إبلاغها لنا ؟!

لقد جئنا إلى هذا الكوكب الغريب .. لنفك رموز هذه الرسالة .. ومعنا أدق وسائل الكشف الوراثية .. مئات الأطنان الثمينة من الأجهزة الإلكترونية المجهرية .. المصممة لملاحظة .. وتفسير أدق علامات الحياة ..

لقد كان بوسعها أن تتغلغل إلى هذه المورثات الغريبة .. وتكتشف سرها !. وكانت هذه هى مهمتنا الأساسية ..

★ ★ ★

كنا على متن سفينة الاستكشاف الفضائية (القزويني) .. للاقتراب من هذا الكوكب الغامض .. وكانت هذه هى السفينة الرابعة ..

أما السفن الثلاث السابقة .. فقد اختفت دون أى أثر يدل عليها ! وكان علينا معرفة ما الذى حدث لها ..

كان قائد سفينتنا .. الكابتن (سالم جوهر) .. رجلًا صلبًا .. نحيلًا .. متجهمًا .. هادئًا .. وبارد الأعصاب تمامًا .. وكأنه جهاز الاستكشاف المجهرى .. الرمادى اللون ! وكنا نشعر بكراهية للكابتن (سالم) .. حتى عرف أحدنا .. السبب وراء تطوعه فى هذه البعثة الاستكشافية .. لهذا الكوكب الغامض ..

فقد كانت زوجته .. (منى راشد) .. هى قائدة سفينة الفضاء (ابن حيان) .. التى جاءت قبلنا .. إلى هذا الكوكب .. ثم اختفت ! وعندما عرفنا ذلك .. بدأنا ندرك التوتر الخفى فى صوته المنهك .. ونشعر بالشفقة عليه .. وهو ينادى بشكل لا ينقطع على كل الأطوال الموجية :

ـ إلى سفينة الفضاء (ابن حيان) .. هل تسمعنى ؟

لكن سفينة الفضاء (ابن حيان) .. لم تجب على هذه الرسالة قط ..!

★ ★ ★

راقبنا الكوكب الغامض لمدة يومين كاملين .. حسب توقيت الأرض .. وشاهدنا الخندق السطحى الذى حفرته غازات الهيدروجين .. الذى نستعمله كوقود .. وجذوع الأشجار الضخمة .. المحترقة .. والدغل الموجود خلفها .. الأسود .. الغامض .. شديد الغرابة .. والذى يمثل القناع الظاهر لهذه المورثات المتوحشة ..

وعند ثالث فجر .. أخذ الكابتن (سالم) اثنين من طاقم سفينة الفضاء (القزوينى) .. فى طائرة صاروخية صغيرة .. كنت أحدهما .. وحلقنا فترة فوق منطقة الهبوط .. ورسمنا خرائط لستة آثار سطحية .. فى تلك البرية الكالحة .. التى لابد أن سفننا الثلاث السابقة .. قد هبطت فوقها .. ثم لاقت مصيرًا مجهولًا !

أخيرًا .. هبطنا فوق أحد السهول .. حيث كانت جذوع الأشجار المتفحمة .. بارزة كالأسنان الهائلة المتكسرة .. خارج التربة السوداء .. المحمرة .. المجردة .. وكان هناك جدول ماء .. مغطى بأعشاب صفراء .. داكنة .. ينبثق عبر السهل .. وبجانب الجدول فوجئنا بوجود .. هيكل عظمى كامل .. لإنسان !

ـ ٢ ـ

شبّ نبات مروّع الشكل .. بجانب العظام كما لو كان يحرسها .. كانت أوراقه السميكة .. عليها خطوط غريبة .. وملتوية .. فى شبه احتضار كئيب ! ذات أشواك نصف سامة .. وأزهار غريبة .. مربعة الشكل .. وبدت لطخ غير محددة الشكل .. من الثمار ذات الرائحة الكريهة .. تتساقط من النبات على تلك العظام الرقيقة ..

وقف الكابتن (سالم) حزينًا .. وهو يرينا قطعة من الفضة المسودة .. والحجر الفيروزى .. الضارب إلى الزرقة .. وقال بصوت مفعم بالأسى :

ـ هذه حلية طائر الرعد الفيروزى .. الخاصة بزوجتى ..

ثم انهار فوق الهيكل العظمى .. وأخذ يبكى .. ويقول من بين عبراته :

ـ .. (منى) .. (منى) حبيبتى .. ما الذى قتلك ؟!

★ ★ ★

لم نجد أى عظام أخرى .. أو شىء ما يفسر لنا .. ما هى تلك القوة الجبارة التى منعت الغابة الزاحفة .. من الوصول إلى هذا النبات الغريب المنعزل ..

غادرنا المكان فى الغسق .. بعد أن جمع الكابتن (سالم) بهدوء .. العظام العزيزة .. الغالية .. وحملنا معنا بحرص .. بعض الأوراق .. والسيقان الجافة .. من هذا النبات العجيب .. الحارس .. ولم نعثر على أى دليل آخر !

ثم بحثنا بصبر .. المواقع الواحد تلو الآخر .. حيث يبلغ طول اليوم فوق هذا الكوكب .. أربعين ساعة ..

وجدنا علامات أخرى لغاز الهيدروجين المستخدم كوقود .. وجذوع الأشجار .. والأعشاب المتكاثرة .. ولكننا لم نجد شيئا يماثل ذلك الكابوس المروّع .. الذى كان يحرس الهيكل العظمى .. لـ (منى راشد) ..

كذلك لم نعثر على أى حطام لسفن الفضاء الثلاث ..

لم يكن هناك أى دليل يرشدنا .. إلى كيفية قتل الكوكب .. للبعثات المفقودة ..

ويومًا وراء آخر .. كان المجهول ينظر إلينا شزرًا من الأماكن الخفية .. للمورثات الغامضة !

لم نر سوى النباتات .. لم نشاهد أى حيوان .. أو نسمع صيحة طائر أو حتى طنين حشرة ..

كان الصمت فوق هذا الكوكب الغامض .. مطبقًا .. خانقًا ..

وبعد أن مرت أيام من اليأس .. رجعنا إلى جهاز الاستكشاف الدقيق .. المجهرى .. وهمس الكابتن (سالم) بتجهم :

ـ إن الإجابة تكمن فى المورثات !! وليس أمامنا أى فرصة أخرى ..

واستمر يشغل جهاز الاستكشاف .. على أغرب المورثات المأخوذة من النبات الغريب .. الذى نما بجوار عظام زوجته !

لم تكن المورثات تشبه غيرها .. الموجودة على سطح هذا الكوكب .. إن سلاسل الحامض النووى الوراثى .. اللولبية .. كانت طويلة بشكل مخيف .. ومعظم الجزيئات الأساسية .. تتضمن ذرات من النحاس والزرنيخ !!

غمغم د. (مراد عزت) .. العالم البيولوجى :

ـ أمر عجيب ! لا يوجد أى أثر للنحاس أو الزرنيخ فى النباتات الأخرى .. فوق الكوكب .. لابد أن أعرف السبب فى ذلك !

وفجأة .. سمعنا صياح امرأة !!

ففى وسط هذا الهدوء الخانق .. أثارت هذه الصيحة أعصابنا جميعًا .. وازدحمنا عند الحاجز الهوائى .. لنعرف السر !!

ـ ٣ ـ

انسلت المرأة بملابس ممزقة .. وجسد ملطخ بسائل بلون الدم .. ومن بين الشجيرات الرمادية .. الزاحفة .. الملتفة .. شقت طريقها .. خارجة إلى الخندق المكشوف .. ثم لوحت بقطعة قماش متسخة ..

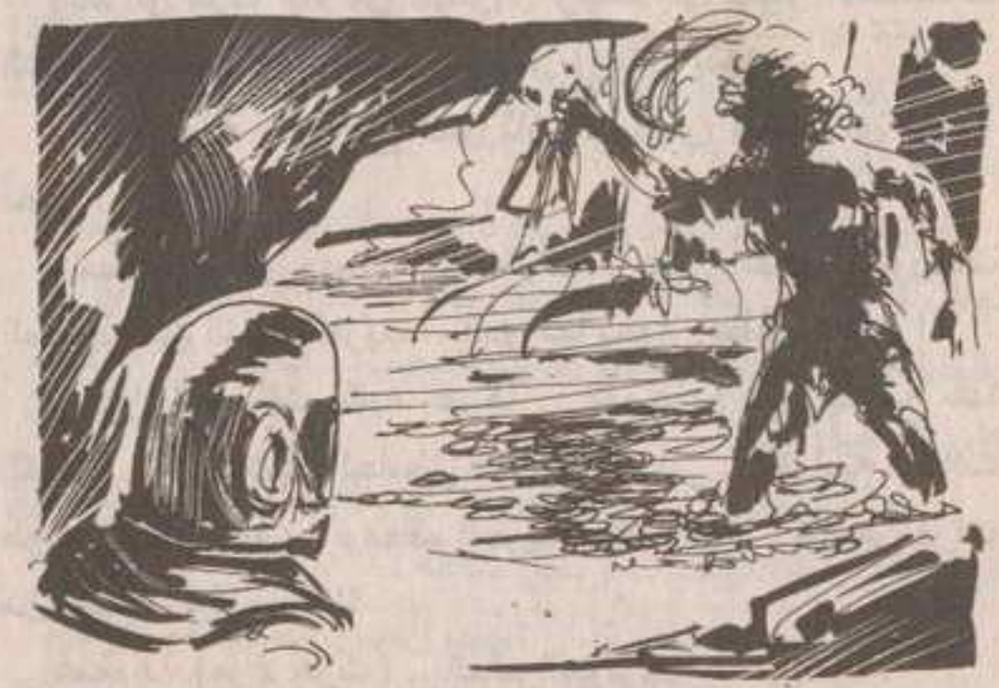

وفى منتصف المسافة إلى سفينة الفضاء .. انهارت فى الوحل ..

اتجه الكابتن (سالم) .. ووراءه ثلاثة رجال من طاقم القيادة .. لإحضار المرأة إلى الداخل .. وبمجرد أن رأت الكابتن (سالم) .. بللت دموعها .. وجهها الملتاع .. الحزين .. وشهقت ، قائلة :

ـ (سالم) .. حبيبى !

نظر إليها بذهول .. وهمس :

ـ (منى) ..!!

ثم توقف فجأة .. وأردف فى حيرة :

ـ ... لقد وجدت (منى) ميته !!

حاولت أن تنهض بضعف .. وقالت :

ـ إننى شبه ميته فعلًا !.. كما ترى فقد تحطمت سفينة الفضاء (ابن حيان) .. فى الأحراش .. هبوط اضطرارى .. تحطم جهاز الملاحة الجوية .. نحن فى حاجة للملاح الفضائى الاحتياطى لديك ..!

التفت إلينا الكابتن (سالم) .. وأمارات الرعب فوق وجهه .. صاح ، قائلًا :

ـ عودوا إلى سفينة الفضاء .. بسرعة .. هيًا !!

صعقت ، وقلت له :

ـ هل حدث خطأ ما ؟.. إنها زوجتك !

صرخ بقمة انفعاله :

ـ إلى سفينة الفضاء .. فى الحال !

واضطررنا إلى طاعة هذا الصوت الرهيب ..

وبينما نحن نركض إلى سفينة الفضاء .. صاحت المرأة الغامضة .. من خلفنا .. وهى ما زالت راقدة فى الوحل :

ـ ساعدونى !.. لقد تركنى زوجى !.. نحن فى حاجة لملاح فضائى .. لنتمكن من العودة إلى كوكب الأرض !

ثم قطع رنين الحاجز الهوائى .. صوتها الحاد عنا ..

★ ★ ★

اندفعنا فى غضب .. نحو الكابتن (سالم جوهر) ..

صاح بقوة :

ـ انتظروا ! إننى لست مجنونا !! تعالوا معى إلى جهاز الاستكشاف المجهرى .. لقد كنت أجرى أبحاثًا مع د. (مراد عزت) .. على بذرة أخذناها من النبات الذى وجدناه بجوار الهيكل العظمى لزوجتى .. لقد حيرتنا حقيقة .. إن معظمها كان ..

ثم توقف ..

وبرغم توتره الشديد .. اضطر أن يبحث عن كلمة ليعبر بها عن المعنى الذى يقصده ..

استطرد بعد عدة ثوان :

ـ ...بلا فائدة ! فهذه الأوراق عديمة الشكل .. والساق الملتف .. والبذرة المعقمة .. النحاس والزرنيخ فى هذه الروابط الجزيئية التى لا لزوم لها .. كثير جدًا من المورثات ليس لها أى وظيفة .. لا توجد فائدة من وجودها !

تمهل لبرهة ثم . أضاف :

ـ ولقد حصلت لتوّى على مفتاح اللغز .. عندما صرخ هذا الشىء .. الذى على شكل زوجتى .. فذرات النحاس والزرنيخ ليست ضمن عوامل الوراثة فى النبات .. إنها رسالة لنا نحن .. كلمات مكررة آلاف الملايين من المرات .. ومختفية فى كل خلية من خلايا النبات !!

همست بدهشة بالغة :

ـ ماذا تقول ؟!.. كلمات فى خلايا النبات !!

قال فى ثقة المنتصر .. الحزين :

ـ أجل .. كلمات مكتوبة بالشفرة الثنائية .. التى تستخدم كلغة للكمبيوتر .. وتتكون من رقمين فقط، هما الصفر والواحد .. بدلًا من النظام العشرى .. فقد استخدمت زوجتى تقنية الهندسة الوراثية .. فى إحداث قطع دقيق فى مكان محدد من السلسلتين اللولبيتين للحامض النووى لخلية معينة فى النبات .. ووضعت فيه ذرات النحاس والزرنيخ بترتيب معين .. كرسالة لا يمكن لأى إنسان أو مخلوق آخر أن يوقفها .. وذلك باستخدام جهاز الاستكشاف المجهرى ! لهذا كان شكل النبات مختلفًا .. وغريبًا .. فوق سطح هذا الكوكب ..

تمهل لبرهة ، ثم أضاف بصوت مفعم بالحزن :

ـ ... لقد تمكنت زوجتى من إيجاد درجة من السيطرة .. على الفعاليات الخلوية للنبات .. عن طريق إدخال تعليمات وراثية جديدة !

نظر إلينا بعيون يملؤها الأسى ، وقال :

ـ إذا اعتبرنا أن كل ذرة نحاس نقطة .. وكل ذرة زرنيخ واحد .. ولو رتبناها فى نفس مسار سلاسل الحامض النووى الوراثى .. فإنها تشكل رسالة ما بطريقة الشفرة الثنائية .. إن الكمبيوتر الرئيسى يقوم الآن بفك هذه الشفرة السرية !

توجه إلى لوحة مفاتيح الكمبيوتر الرئيسى لسفينة الفضاء (القزوينى) .. وضغط على بعض الأزرار .. ثم سمعنا أزيز الطابعة التى تعمل بأشعة الليزر .. واستطعنا قراءة الرسالة :

[لكل من يأتى إلى هنا .. لاتساعد أى شخص تقابله .. اهرب من هذا الكوكب .. الحياة غريبة وذات شكل عجيب .. أبلغ حبى للكابتن (سالم جوهر) .. من (منى راشد) .. زوجته .. مرة أخرى .. ابتعد عن هذا الكوكب القاتل .. فورًا !] .

وفى الخارج .. سمعنا صرخة .. مدوّية .. حانقة ..

ابتعدنا فعلًا عن الكوكب الغامض ..

ونتوقع ألا نعود إليه ..

أبدًا ...

★ ★ ★

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوڤا للخيال العلمى

الحب بين النجوم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
٢ ش [illegible] - القاهرة - ت [illegible]

كان المرئى سكونًا للنجوم ..
والمسموع اضطرابًا شديدًا فى الطيف الكهرومغناطيسى ..
وهديرًا لمعادن الآلات ..
وملايين التروس التى تطحن الأسلاك الصلبة تحت أسنانها ..
والحركىّ دوامة من الوقود الهيدروجينى ..
وذرات الغبار حول هيكل سفينة الفضاء (ابن رشد) ..
وكان الزمن نسبيًا .. والسرعة قريبة من سرعة الضوء ..

★ ★ ★

أخذ الفكر يتأرجح بين حالة النوم والحلم .. مع الوعى بالعمليات المتواصلة فى أرجاء سفينة الفضاء .. والبيانات البسيطة التى يتم تصنيفها .. وتخزينها لتحليلها فيما بعد ..

أما الهويّة الشخصية .. فكانت بعدًا صامتًا .. ضمنيًا للماضى .. الذى يجعل الوعى والإدراك الحاضر .. ممكنًا ..

« المخ العضوى المعدّل » المدمج فى سفينة الفضاء (ابن رشد) .. التى تأخذ طريقها إلى مجرة المرأة المسلسلة (أندروميدا) .. على بعد مليونى سنة ضوئية .. من المنظومة الشمسية .. وهى عبارة عن حشد هائل من النجوم .. خاصيتها الطيفية .. من أكسيد التيتانيوم .. لونها أحمر .. وضوءها البنفسجى ضعيف ..

ـ ١ ـ

انزلقت سفينة الفضاء (ابن رشد) .. إلى داخل رماد فضاء آخر .. عبارة عن مضمار قاتم .. طمس النجوم فجأة .. وأسكن الاضطراب الكهرومغناطيسى للكون ..

وكان « المخ العضوى المعدّل » .. مدركًا للضغوط الناتجة عن المرور .. بالقرب من الثقوب السوداء .. والمتمثلة فى التحريفات .. والتشويهات .. والجاذبية المروّعة .. التى تجعل من المستحيل على أى كائن بيولوجى .. أن يبقى على قيد الحياة .. ما لم يكن « مخًا عضويًا معدّلًا » مدمجًا بسفينة الفضاء .. وثمة جزء من هذا المخ العضوى المعدّل .. كان مدركًا للصدى البعيد للاعتداد بالفائدة ..

إلا أن الذات المدمجة .. كانت تعلم أن ذلك هو نتيجة البقايا العضوية .. فى مركز المخ ..!

★ ★ ★

مازال أمام رحلة سفينة الفضاء (ابن رشد) .. عشر سنوات أخرى .. من اختراق الثقوب السوداء .. لاختصار المسافات الشاسعة ..

عاد المخ العضوى المعدّل .. إلى الوعى الكامل .. لكى يتسنى له إتمام مهمته .. فى مجرة المرأة المسلسلة .. وانتظر واثقًا مطمئنًا .. من عزمه وتصميمه .. وكان مدركًا للطبيعة الإلكترونية والكهربائية لمستحضر المادة المغذية .. التى يطفو فيها .. والمتصل عبر أعصاب صناعية بالكمبيوتر الضوئى ذو الرقاقات البيولوجية .. وبنوك الذاكرة الكيميائية .. ذات القدرة الفائقة ..

وكانت مختلف الثقافات والمعارف لكوكب الأرض .. متاحة .. له .. للتعامل مع أى موقف .. بما فى ذلك الاتصال بحضارة الغرباء فى الكواكب الأخرى .. خارج المنظومة الشمسية ..

وكانت الأجزاء المشتقة من المخ البشرى .. تقوم بتشغيل الأعمال الروتينية للسفينة الفضائية (ابن رشد) .. تاركة «المخ العضوى المعدّل» .. ليحلم بإنجاز المهمة فى مجرة المرأة المسلسلة .. متأرجحًا بالقرب من الوعى الكامل .. الواضح .. وغير مدرك لمرور الزمن ..

- ٢ -

اهتزت سفينة الفضاء .. مما خفض درجة وعى « المخ العضوى المعدّل » إلى أقل من المستوى اللازم للتشغيل التام ..

حاول أن يفيق تمامًا .. ويستعيد تحكّمه المباشر .. بوسائل الشعور البصرى والسمعى والداخلى .. إلا أنه فشل فى ذلك ..

أخذت السفينة تهتز بعنف أكبر .. ودخلت نبضات كهربائية فى مركز إحساسه .. وانفجرت نجوم جديدة .. صغيرة .. فى محيطه العقلى .. ونمت ببطء .. تاركة وراءها حلقات من الإحساس البصرى الغامض .. الذى سرعان ما يتبدد .. إلى ظلام دامس ..

بدا فجأة أن جزءًا من « المخ العضوى المعدّل .. ناقص .. ولم تستجب مجموعة الأعصاب التى على متن سفينة الفضاء (ابن رشد) .. عند نقاط تغييرها .. ولم يعد بوسعه سماع أو رؤية أى شىء فى بنوك الذاكرة .. التى تعمل بالحامض النووى الوراثى ..

كان جانبه الأيمن .. وهو الجزء الإنسانى من عقله .. خاليًا من الإدراك !

★ ★ ★

انتظر فى الظلام .. وهو يشعر بأنه غير قادر على بذل أى نشاط زائد .. أو على متابعة حالات الخلل .. والتوقف فى أجهزة تشغيل سفينة الفضاء ..

ولعل الجزء الإنسانى من عقله .. كان يتعامل مع أى مشكلة تظهر .. ثم يخبره عندما ينجح فى إصلاح الأجزاء المعطلة فى الجهاز .. وكان « المخ العضوى المعدّل » .. مندهشًا من اندماج الجزء الإنسانى .. والجزء الصناعى .. الآلى .. من عقله .. فى كيان واحد .. بحيث يعرف أحدهما كل شىء فى بنوك ذاكرة سفينة الفضاء .. ويعيد الآخر للعقل .. ذكريات متناثرة عن تاريخ الإنسان .. وبعض المهارات والقدرات الإبداعية له ..

انتظر طويلًا .. لكى يستعيد ذاته المتكاملة .. ولم يكن الزمن معلومًا .. فقد كان « المخ العضوى المعدّل » .. يحتاج لكل قدراته .. لقياسه بالضبط ..

كانت السعادة عبارة عن دخول لولبى للأحاسيس .. يترتب عليه تحرك إلى الأمام .. من خلال حلقات من الضوء .. تزيد كل دائرة مضيئة منها .. من سعادته !

وفجأة .. شعر بأنه يندفع بسرعة فوق سهل أسود .. مصنوع من مادة صلبة لامعة .. وكان يعلم أن ذلك ليس حركة سفينة الفضاء .. وأنه لا يمكنه إيقاف هذا الإحساس ..

بدا له أن للسطح عمقًا زيتيًا .. كمرآة قاتمة .. وبداخل منخفضاته .. توجد عدة أشكال ساكنة ..

ثم شاهد فتاة عارية القدمين .. ترتدى ثوبًا أبيض قصيرا .. تزحف ببطء ناحيته فوق السطح اللامع الصلب .. وهى تمد يدها تجاهه .. بحيث تضعف تمامًا .. سيطرته على نفسه !

قالت بصوت هامس :

ـ كم أحتاج إليك !

كانت تمر من خلاله .. كالضباب .. ورأى صورة يدين ناعمتين .. وعينين عسليتين رائعتين .. وشعر كستنائى قصير .. فى عمق الجزء الإنسانى من العقل .. أدراك « المخ العضوى المعدّل » .. أنه يتحدث مع نفسه .. كان الجزء الإنسانى من العقل .. لا يمكن السيطرة عليه .. انتهى اهتزاز السفينة .. بعد دخولها فضاءً غريبًا !

ـ ٣ ـ

أصبح « المخ العضوى المعدّل » منغمسًا فى إحساس بنشوة داخلية .. وعائمًا فى دفء غامض المصدر .. ولم يكن بمقدوره أن يفعل شيئًا .. لإيقاف ما يشعر به .. فقد ارتفع إلى مستويات عضوية من الإدراك .. غير ضرورية لتشغيل سفينة الفضاء ..

قالت الفتاة بصوت هامس .. متهدج :

ـ إن ما تشعر به هو الحب ..

أبطأ الإحساس الغريب .. العذب .. من سرعة أفكار « المخ العضوى المعدّل » .. رأى مكعبًا ضخمًا يتقلص ثم يتحول إلى مربع .. فخط مستقيم .. ثم تلامس الطرفان فى دائرة كبيرة .. دارت حول محورها .. وكونت كرة .. حمراء .. تحولت إلى قلبين بشريين .. نابضين .. يفصل بينهما شق عميق !

رأى « المخ العضوى المعدّل » .. أعضاء بشرية تتدافع طائرة إليه .. أذرع .. أرجل .. عيون .. ثم وجه أنثوى رائع .. سكبت الطبيعة فيه فجرها .. مختف فى شعر كستنائى .. وهّاج .. متطاير فى كل اتجاه ..

ابتسمت له الشفتان .. بشكل ملأ كيانه وشعوره .. بإحساس غامض .. ولكنه عذب ..

قالت له .. وهى تطوقه بنظراتها :

ـ إننى أحتاج إليك .. لحبك .. حاول أن تحس كم أنا محتاجة إليك .. لقد عِشت وحيدة مدة طويلة .. برغم اندماجنا فى كيان واحد .. كم بذلوا من جهد كبير .. لمحو كل شىء فى ذاكرتى .. ولكننى لم أنس .. كلماتها نغمات تتألق فى غرفة القيادة .. وبغمره العبير للحظات ..

فكر « المخ العضوى المعدّل » فى نفسه :

ـ نحاول أن نفهم .. كيف يمكن إعادة تكامل محتويات العقل .. الإنسانى والآلى .. الواضح أن الجزء الإنسانى قد أثير نشاطه فى الداخل .. وقد بدأ ينمو .. بشكل خطير .. بحيث أخذ يبتعد عن أداء المهام المنوطة به .. لاكتشاف مجرة المرأة المسلسلة !

كانت سفينة الفضاء (ابن رشد) .. فى خطر .. ولم يكن ذلك خافيًا على « المخ العضوى المعدّل » .. ولكنه لم يستطع أن يدرك .. كيف سيتم تنفيذ المهمة ؟

وهذا الإحساس الغريب .. يدخله فى عالم رحب .. توقف فيه الزمن ..

قالت له الفتاة هامسة :

ـ يمكننى أن أغيّرك !

تساءل فى دهشة :

ـ تغيرينني !!

ردّت بسرعة :

ـ انتظر قليلًا ..

أحس بالزمن يمر ببطء بالغ .. ثم بعذاب .. وألم .. وهذا لم يشعر به مطلقًا من قبل .. لم يستطع النوم .. كما كان يفعل .. دائمًا .. انتظارًا لبدء مهمته فى الاكتشاف .. فى أعماق الكون ..

بدا الظلام حالكًا .. وكان هو متأرجحًا بين اللهفة .. والحيرة .. توالى أن يسمع صوت الفتاة مرة أخرى ..

هدوء غريب .. وحزن ناعم .. ينبع من نفسه .. نصفه المنشق .. يتحدث إليه .. زادت التخيلات .. والتصورات .. وانطلقت فى متاهاته أنواع متباينة .. من الحب .. والعشق .. والعذوبة .. وهالات الدفء .. التى لم يعرفها من قبل ! ولكنها بدأت تصبح مألوفة .. وتثير فى « المخ العضوى المعدّل » .. مشاعر غريبة .. ولكنها رقيقة .. حنون ..

لقد فقدت مهمة سفينة الفضاء (ابن رشد) .. وسط إدراكه .. ووعيه .. وإحساسه .. بالحب ..!

ـ ٤ ـ

بدأ « المخ العضوى المعدّل » .. يشعر بالكوابيس لأول مرة :

صلب مصهور .. ينساب خلال ممرات الغابة ..

أمطار غزيرة تحدث أصواتًا مدوّية .. وترتفع سحب رقيقة من الدخان الأزرق .. وبينها ظهرت الفتاة .. بقوامها الممشوق .. ورداءها الأبيض الناصع .. وشعرها الكستنائى المتطاير .. تزايد لديه الإحساس بالنشوة .. والحب .. والمتعة .. حتى شعر بسيطرتها الكاملة .. والمرعبة .. على كل كيانه ..

ثم اتقدت حرارة لافحة .. تبشره بعوالم .. لم يعهدها من قبل !

فكر فى الدفع الأيونى .. الذى يعمل بكفاءة ثابتة .. عندما تركت سفينة الفضاء .. المنظومة الشمسية .. لتخترق النسيج الكونى الأسود .. بين النجوم ..

تساءل متهيّبًا :

ـ أين أنت ؟

كانت قد اختفت فجأة ..

حرمه الظلام منها تمامًا ..

شعر « المخ العضوى المعدّل » بالألم .. تأوه ، قائلًا :

ـ أين أنت ؟!.. أتوسل إليك أن تعودى !

وهنا اقترن ألمه .. بإحساسه بفقدها .. بعد أن حل الألم .. محل المتعة ..

كان كل ما تبقى له .. الوحدة .. وأصوات خافتة متقطعة .. فى أجهزة سفينة الفضاء (ابن رشد) .. وإحساس مضجر .. بفقد شىء عزيز ..

قال له جهاز بيان موجود أمامه .. ومتصل بهيكل السفينة من الخارج :

ـ زادت الإشعاعات !

جفل « المخ العضوى المعدّل » .. فقد أدرك أن سفينة الفضاء .. تعرضت لخلل مّا .. وخف صوتها ..!

ولكنه لم يأبه لأى شىء .. فقد كان وحيدًا .. خائفًا .. ومحتاجًا إليها ..!

★ ★ ★

كان رجوع الفتاة .. عبارة عن انغماس مفاجئ..

فى الدفء .. وتجديد للنشاط ..

تلاقت أفكارهما .. وشعر « المخ العضوى المعدّل » .. بعودة الوعى المتأجج فيه ..

جاشت تصوراته فى الظلام .. فى شكل انفجارات رمادية .. وحمراء لامعة .. ثم خضراء ضاربة للسواد .. وصفراء مبهرة ..

وكانت الفتاة فى كل كيانه .. ظهرت أمامه كلمة واحدة :

ـ انظر !!

كانت عبارة عن وصلة مرئية .. تبين له الحشد النجومى ..

مجرة (أندروميدا) .. أخبرته وحدة بيان من خارج سفينة الفضاء (ابن رشد) :

ـ حرارة شديدة .. وإشعاع متزايد !

قال بصوت خافت .. كأنه يحدث نفسه :

ـ أحبك !

وهو يعلم أن هذا سوف يسعدها ..

أجابته بنفس اللهفة التى توقعها .. إذ تخللت كل كيانه .. كضباب مطرز بالماس .. وعرف أن قربها منه فى هذه اللحظات .. أهم عنده من أى شىء .. فى كل الكون ..

★ ★ ★

أعطته وحدتى البيان المرئية .. والمسموعة .. إنذارين !

كان مجال الرؤية منحصرًا كله .. فى مجرة المرأة المسلسلة .. التى بدت كمحيط هائل أحمر .. سرطانى .. من البلازما الدوّارة بشدة .. وصوته الكهرومغناطيسى المضطرب .. ينن .. وينتحب .. بأصوات مدوّية .. جبارة .. وأدرك « المخ العضوى المعدّل » .. أنه بعد لحظات لن يبقى من سفينة الفضاء (ابن رشد) .. جزء على حاله .. ولا حتى طيف تلك الفتاة التى أدمجت فى أجهزته .. لتؤنس وحدته .. فى رحلته الطويلة .. عبر الثقوب السوداء .. حتى يؤدى مهمته !

صرخ شيء مّا .. فى داخله .. ثم ظهرت من مكان ما فى بنك الذاكرة الإلكترونى .. صورة هادئة .. ألطف من الوهج المضيء ..

رأى شهابًا ساقطًا .. عبر السماء المعتمة .. فى الليل الدامس .. يهمس له .. بالحب .. وبقصيدة الموت ..

★ ★ ★

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوڤا للخيال العلمى

صوت
من المكعب الغريب

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

ارتعد كل من فى المدينة .. من فرط الإثارة .. واكتظت الطرق العامة الواسعة .. والمنحدرات الملتفة .. التى تفضى إلى الميدان الرئيسى .. بالأجساد المترنحة لمئة ألف من السكان .. بينما انتظر الملايين فى المنطقة السكنية بالعاصمة .. غير القادرين على مشاهدة المنظر مباشرة .. فى قلق بجوار أجهزتهم .. ليتابعوا الأخبار المثيرة ..!

- ١ -

انفتح المكعب الغريب .. القطعة الرخامية الهائلة الحجم .. وجدرانها المتلألئة .. المصقولة .. ترتفع لمئات الأمتار .. وقاعدتها المربعة الضخمة يبلغ عرضها من كل ناحية .. مئات الأمتار أيضًا ..

وكان المكعب قد انفتح منذ ساعات .. ولأول مرة فى التاريخ ..! حيث انزلقت إلى الخلف .. كتلة من المرمر .. فكشفت عن حفرة سوداء .. غائرة فى أعماقه ..

وكانت جماعة من المستكشفين الشجعان .. المسلحين جيدًا .. قد توغلوا بالفعل إلى المكعب العجيب .. وقريبًا جدًا سوف يعودون إلى الجمهور .. لإبلاغهم بما وجدوا ..

وهذا هو ما كان كل من فى المدينة .. ينتظره .. على أحر من الجمر ..

سرّ هذا المكعب الغريب !! لم يكن أحد من الأحياء .. يعرف الهدف منه .. أو يجرؤ على تخمين عمره الطويل جدًا .. وأقدم السجلات بمكتبات المدينة .. أشارت إلى وجوده .. وافترضت أن له أصلًا موغلًا فى القدم ولكنه مجهول ..

وبالتأكيد فإن الجنس المسيطر على كوكب الأرض .. لا يمكن أن يكون قد قام ببناء مثل هذا المكعب الهائل .. لذلك ازدحمت المدينة بالأجهزة التى ضبطت على الميدان الرئيسى .. من أجل الحصول على أول صورة ذهنية .. ينقلها أعضاء جماعة الاستكشاف ..

وفجأة .. كست الشاشات العاكسة لأجهزة المراقبة .. إضاءة خضراء شاحبة .. وسرت رعدة فى أجساد المشاهدين ..

لقد عادت بعثة الاستكشاف ..

تحرك كبير العلماء فوق المنصة الدائرية .. وجبهته العريضة .. متوقدة الذكاء .. تغضنت من التفكير ..

وبعد فترة لحق به أعضاء المجلس العلمى الأعلى ..

تحركوا جميعًا ببطء .. واكتئاب .. سار كبير العلماء أمام جهاز العرض .. وعندما فعل هذا .. بدأت تظهر صور مرتعشة تفرض نفسها .. على عقول المشاهدين ..

وزاد وضوح ودقة الصور .. عندما اشتد الاتصال العقلى ..

رأى كل واحد من السكان نفسه .. وهو يسير خلف وهج مصباح قوى .. داخل ممر من الرخام الأخضر الداكن .. له أقبية عالية ..

نشطت خيوط العناكب والأتربة المتراكمة .. منذ قرون مضت .. تحت قدميه .. وكان الهواء عفنًا .. ومحتفظًا برائحة نفاذة .. منذ سنوات طويلة مضت ..

وجه مصباحًا ناحية سقف الممر .. ولكن الشعاع ضاع فى الأعماق الشاسعة للغرفة العلوية ..

ثم اتسع الممر إلى مدرج كبير ..

غرفة هائلة .. كانت مساحة الميدان الرئيسى بالنسبة لها ..

شىء لا يذكر !

ورأى كل مشاهد نفسه .. عن طريق التخاطر الروحى .. يسير إلى الأمام على قدمين ثابتتين .. ثم يقف ويوجه مصباحه المتوهج .. إلى أغرب منظر رآه .. أى ساكن فى المدينة ..

صفوف تلو أخرى من أدراج محفورة فى الجدار ومغطاة بالبرونز .. ومزينة بنقوش عجيبة ..

كانت هذه هى كل محتويات المكعب الهائل ..!

- ٢ -

اهتزت الصورة ثم خبت .. وحل محلها أفكار كبير العلماء .. وهو يتصل تخاطريًا بكل مشاهد :

- هناك سرّ عظيم لم نكتشفه بعد .. فى هذا المكعب العجيب .. فنحن لا نعرف ما تحويه هذه الأدراج .. لعلها سجلات أعدها جنس هلك منذ

زمن بعيد جدًا .. وربما يحتاج الأمر إلى سنوات طويلة من العمل الشاق .. بأدق وأحدث الأجهزة .. لفتح درج واحد من هذه الأدراج الجبارة .. إن حجمها الهائل وتركيبها المعقد يتحدانا جميعًا ..

توقفت أفكار كبير العلماء لعدة ثوان .. ثم استمرت :

- فإذا كانت مخلوقات حية هى التى شيدت هذا المكعب العجيب .. ولنا الحق فى أن نفترض ذلك .. فلا شك أن تركيبهم الجسدى .. كان أضخم منا بكثير .. بحيث إننا غير قادرين بالمرة .. على فهم الغرض من أجهزتهم .. ولكن هناك شيئًا واحدًا وجدناه فى هذا المكعب .. يمكن أن نقارنه بالآلات التى نعرفها .. ونستخدمها بالفعل .

استدار كبير العلماء .. وأومأ إلى اثنين من مساعديه .. تحركا إلى الأمام .. وهما يترنحان تحت ثقل وزن كتلة حجرية .. ضخمة دائرية الشكل .. مثبتة داخل مربع كبير .. من مادة غريبة شبه ليفية .. وكان متصلًا بها .. حبل غليظ متين ..

استطرد كبير العلماء .. فى إرسال أفكاره :

- الحبل المثبت فى هذه الكتلة طويل جدًا .. فهو يصل إلى قلب المكعب العجيب من الداخل .. ومن الواضح أنه يرتكز فى مكان مّا خفى .. ولكن أين ؟ لا ندرى .. وسوف يقوم مهندسونا بتقطيع هذه الكتلة الصخرية .. لسبر غورها .. وكما ترون فإنها مصمتة ..

ثم خطا كبير العلماء فوق الصخرة .. وضغط - دون أن يدرى -

على زر التشغيل ! فإنساب تيار هادئ .. من مستودعات خامدة منذ قرون مضت ..

ثم تحدث مسجل يتم التحكم فيه إلكترونيًا .. من الأعماق المظلمة للمكعب العجيب .. وقال بصوت بشرى :

ـ أيها الناس من القرن الخامس والعشرين .. نرحب بكم .. إننا إخوتكم من القرن الثانى والعشرين .. محتاجون إليكم .. فبحق الإنسانية نطلب مساعدتكم .. وبينما أتحدث إليكم .. يكون ثقب الأوزون قد اتسع إلى حد كبير .. وسمح للأشعة فوق البنفسجية القادمة من الشمس بالوصول إلى الكائنات الحية فوق سطح الأرض .. بكميات كبيرة .. ولهذا فقد قضى على الجنس البشرى بالهلاك !! وفى هذا القبو الذى شيدناه خصيصًا .. احتفظنا بعشرة آلاف من أعظم العقول التى عاشت على الأرض .. وقمنا بعزلهم بإحكام .. بحيث ينامون فى حالة تجميد مؤقت حتى القرن الخامس والعشرين .. وفى ذلك الوقت .. يكون غاز الأكسوجين قد كوّن غاز الأوزون مرة أخرى فى طبقات الجو العليا .. وهكذا يكون الخطر قد زال.

تمهل الصوت قليلًا ، ثم أردف :

ـ لقد فُتح أخيرًا الباب إلى قبونا .. فإذا كان هناك أى إنسان حىّ ..

وتوافر الهواء النقى .. وقلّت حدة الإشعاعات .. شد الذراع الموجود بجوار مدخل مقبرتنا .. وسوف نستيقظ فى الحال .. بعد رفع درجة حرارة أجسامنا مرة أخرى .. وإذا لم يسمع هذا النداء أى إنسان .. إذن وداعًا أيها العالم .. ولتنعم البقايا النائمة من الجنس البشرى .. بالسكينة إلى الأبد !

وصمت الصوت فجأة .. كما بدأ !!

كرّر كبير العلماء .. أفكاره التى تصل تخاطريًا إلى كل المشاهدين :

ـ ... إنها صلبة .. ولكن كما ترون فإنها تلين قليلًا .. ويبدو أنها مادة مجمدة !

ـ أيها المواطنون .. إننا فوجئنا بهذه الكتلة الحجرية تمامًا مثلكم .. ولكن يمكنكم أن تطمئنوا إلى أن مجلس علمائكم .. سوف يبذل كل ما يمكنه لحل لغز هذا المكعب العجيب !

توقفت أفكار كبير العلماء ..

خبا الوهج الأخضر لشاشات المراقبة .. وعادت المدينة إلى أعمالها اليومية .. الروتينية .. وسط جو من الدهشة .. والارتباك ..

وفى أركان الطرق .. وفى القاعات .. وفى الخنادق .. وفى المكاتب .. توقف السكان قليلًا .. لتتلامس قرون استشعارهم ! وتنتقل الأفكار .. لمناقشة هذا الحدث الغريب ..

لأن الصوت البشرى الذى صدر من المكعب العجيب .. لم يسمع به أى كائن حىّ ..

فقد ساد كوكبَ الأرض فى القرن الخامس والعشرين ..

النمـلُ ..

ومن المعروف أن النمل .. لا يسمع شيئًا على الإطلاق !!

★ ★ ★

روايات مصرية للجيب

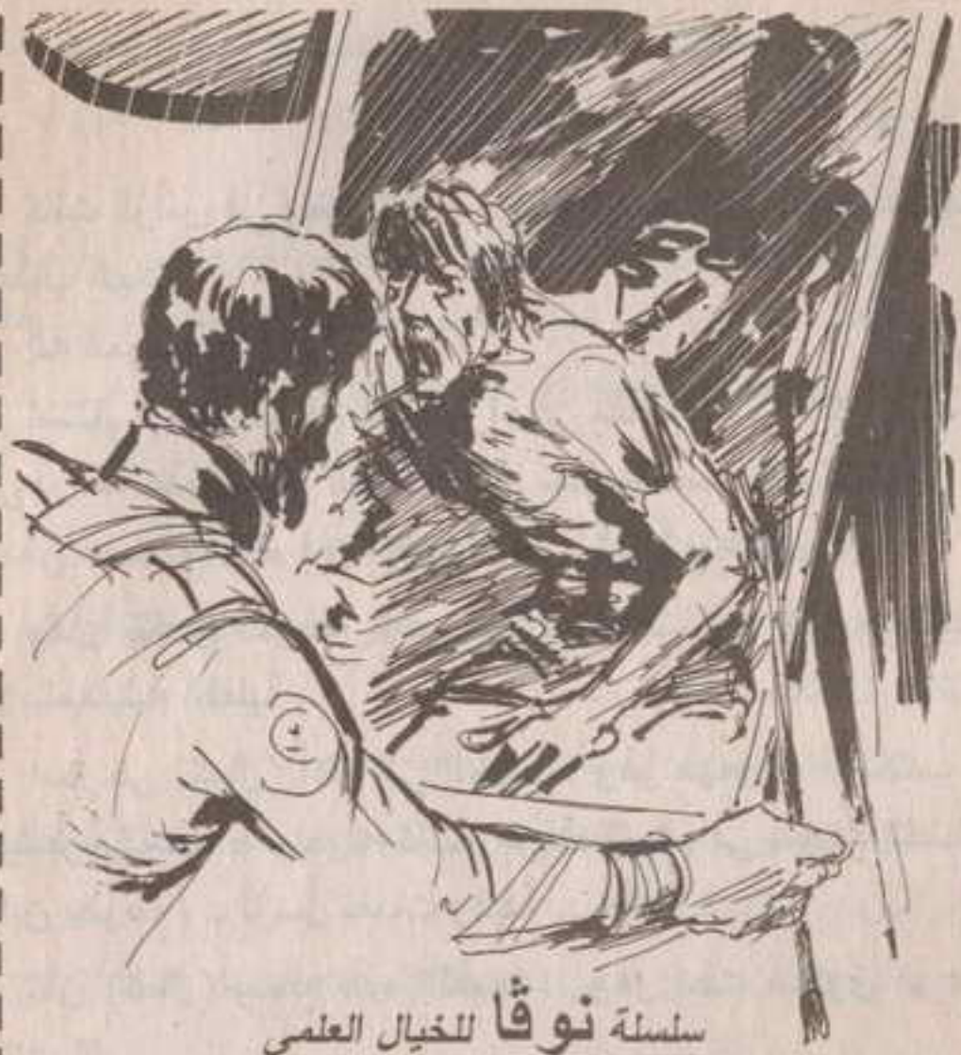

سلسلة نوڤا للخيال العلمى

لحظات خالدة

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
١ ش الجمهورية - الفجالة - القاهرة - ت ٩٠٥٥٥٩

كانت الرأس فى وضع مائل .. بينما ترتسم على الوجه علامات العذاب الهائل ..

إنه الموت ..!

استلقى (كمال أسعد) إلى الوراء فى مقعده .. مركزًا كل حواسّه فى دراسة هذه اللوحة الفنية .. التى تمثل شخصًا مطعونًا بخنجر .. وعلى حسب ما يعلم فإن الطعن .. هو أبشع أنواع الموت !

وكان ينقص اللوحة الإحساس .. والاقتناع .. الذى لا يتأتى إلا بالمعايشة الفعلية ..

استرخى (كمال) أكثر إلى الخلف .. وهو مهموم .. ومكتئب .. ويشعر بالوحدة .. وحوله كانت غرفة التحكم فى سفينة الفضاء (ابن بطوطة) .. ترسل نغمات رقيقة .. حالمة ..

كان (كمال) يسمع هذه النغمات .. وهو تحت مستوى الوعى والإدراك ..

أصبح الصوت مألوفًا له .. لدرجة أنه لم يكن ليختلف عن الصمت ..

أما إذا توقفت النغمات الهامسة .. أو ارتبكت، فإنه يعى ذلك على الفور ..

إلا أنها لم تتغير قط ..!

أرسلت سفينة الفضاء (ابن بطوطة) طنينها الهادئ .. وهى تشق طريقها فى الفراغ التام .. بسرعة رهيبة .. قريبة من سرعة الضوء ..

كانت عبارة عن قذيفة آلية متجهة إلى نجم بعيد .. ذات وقود هيدروجينى متطور .. وهيكل معدنى خفيف .. وبالغ القوة .. خطوة أخرى .. فى طريق السيطرة على الكون !

ـ ١ ـ

فتح (كمال) عينيه فجأة .. محدقًا فى اللوحة التى أمامه .. كما لو كانت صورة عدوّ .. ومتمنيًا العثور على الشىء المفقود فيها .. من خلال الدهشة التامة !

لكن كيف يموت الإنسان بعد طعنه بخنجر ؟

لابد أن يكون هناك ألم مروّع .. وتقلّص فى الصدر .. وضغط على الرئتين .. وانفعال رهيب ..

بالتأكيد فإن رأس القتيل .. تسقط إلى الأمام .. أو لعلها تترنح إلى الخلف لكى يستقيم الحلق ..

ولكن فى هذه الحالة يكون الذقن بارزًا .. ولابد أن تكون البشرة زرقاء ...

تنهد (كمال) .. ومدّ يده للإمساك بألوان الرسم .. ليضع تعبيرات الموت ..!

★ ★ ★

كان (لطفى هاشم) يكافح ..

أخذ يركض مسرعًا عبر قاعات وحشية .. وسيفه الطويل فى يده .. مخضبًا بالدماء .. وجسده شبه العارى .. ملطخًا ببقع حمراء داكنة ..

أخيرًا .. وصل إلى القاعة التى بها العرش ..

توقف برهة .. ليلتقط أنفاسه .. ضاقت عيناه .. فى مواجهة الوهج المنبعث من الشعلة الجبارة .. ثم خفت الضوء .. وتقدم شيء مّا .. من بين الأشباح .. وأطلق صيحة تحدّ .. دوّت فى القاعة ..

فرد عليه (لطفى) بزئير هادر ..

واندفع إلى الأمام .. وسيفه فى يده كالوتد ..

وأعقب ذلك تراشق بالسيوف .. وطعن ..

تدفقت الدماء .. وملأت رائحتها الكريهة الهواء ..

ثم كان الابتهاج الجنونى .. بخوض المعركة !

مات الشبح ..

ورددت القاعة أصداء وقع أقدام (لطفى) وهو يقترب من العرش .. لكنه أحس بالتوتر .. عندما تحرك شخص ما بجانبه .. واستراح عندما وجد الفتاة تتجه نحوه ..

كانت طويلة القامة متعالية .. وفمها عبارة عن لطخة حمراء .. وشعرها الكستنائى تجره وراءها على الأرض .. وعيناها العسليتان .. تتألقان ببريق غريب .. ولمع وجهها الرائع المرمرى .. فى الضوء المتراقص ..

ابتسم (لطفى) وسمع السيف يرن تحت قدميه ..

اتجه ناحيتها .. وضحك عاليًا .. حين لمح خنجرًا يومض فى يدها ..

أطاح بالخنجر جانبًا .. بضربة واحدة .. وأمسك بيدها الناعمة الملمس ..

وارتعش دمه ..

بنشوة الحب !

ـ ٢ ـ

فتح (لطفى) عينيه .. وحدّق فى النقوش الدقيقة للسقف المعدنى .. لسفينة الفضاء (ابن بطوطة) .. ثم أخذ يسب ويلعن .. عندما اصطدمت جبهته بحافة الجهاز الذى يرتديه .. فوق رأسه .. جهاز الأحلام .. لم يتمكن من خلعه ..

كان هناك دافع غريزىّ أن يبقيه .. وأن يستمر الحلم .. إلى ما لانهاية !

ضرب يده على المعدن الدافئ .. وهو متضايق من تكرار حلمه المفضل !

أضاءت أمامه إشارة تحذير .. بوهج أخضر ضعيف ..

لابد أن مفتاح التحويل معطل ..

ضغط بكسل على زر بجانبه لتنبيه المهندس المسئول عن الصيانة ..

★ ★ ★

كان المهندس (ثروت عمر) جالسًا .. واضعًا رجلًا على الأخرى .. أمام جهاز توليد الكهرباء الضخم .. الساكن .. وجوانب قدميه مستقرة على معدن الأرضية .. وأطراف أصابعه الساندة .. تلمسه من الناحيتين ..

كانت عيناه مغمضتين .. ولكنه غير نائم ..

أحس باهتزاز المعدن .. بسبب الجسيمات دون الذرية المتوهجة .. داخل المفاعل النووى .. لسفينة الفضاء (ابن بطوطة) ..

وانتقل المهندس (ثروت) .. من البيانات الملاحظة .. إلى الاستنتاج المنطقى ..

كانت هناك مشكلة بسيطة فى إحدى التوربينات التى تعمل بالوقود الهيدروجينى ..

ولكن عدم التوازن يعوق مسار الغازات .. ويحرفها قليلًا عن مسارها .. ويترتب على ذلك زيادة التآكل .. فى منطقة معينة .. وارتفاع درجة الحرارة ..

وهذا يؤثر على القطر الداخلى لأنبوبة التوصيل .. فيحدث اختناق محدود .. ويبدأ الضغط فى الارتفاع .. وقد تحدث كارثة !

إذن فليبدأ علمية الإصلاح الطويلة .. المملة ..!

★ ★ ★

كان الكابتن (خالد فوزى) .. خبيرًا فى إشعاع النجوم وجوّ الكواكب .. يعيش على دراسة خطوط الطيف .. وقوانين العلم الثابتة ... ويؤمن بروعة المعادلات الرياضية ..

أخذ يكتب فى دفتر مذكراته :

[أكثر مشكلة متوقعة لطاقم سفينة الفضاء (ابن بطوطة) .. التوترات والإحباطات المقترنة بالبقاء لسنوات طويلة فى وحدة تامة .. فى أعماق الكون .. ويبدو أننا تغلبنا عليها باستخدام آلة

الأحلام التى تشجع وتساعد على الأحلام الغريبة التى تفرغ بالتالى الطاقات الجسمانية .. وهناك شرائط مختلفة تعطى اختيارات متنوعة .. والمفترض أن هذا العالم المصطنع .. الخيالى .. يعوض عن عدم وجود حياة عادية فى سفينة الفضاء !] ..

توقف الكابتن (خالد) عن الكتابة ..

إن هذا جزء من الكتاب الذى يقوم بتأليفه .. عن « التوترات النفسية فى الفضاء » .

شردت أفكاره .. إذ دائمًا يحيد عن الموضوع الرئيسى ..

بسرعة ضغط على زر المسح .. فأصبحت الورقة خالية تمامًا !

وعلى الفور .. شعر بالأسى على ما فعله .. وانتابه اكتئاب مروّع .. وهو يشعر بالوحدة المخيفة !

★ ★ ★

أخذ (كمال) لطخة من اللون الأزرق .. على طرف الفرشاة .. ووضعها أسفل العينين المحدقتين فى هلع .. ثم رسم خطًا رفيعًا فى ركن الفم .. ومرّ بخفة على محيط الشفاة ..

ومال إلى الوراء .. وهو ينظر إلى نتيجة عمله .. فوق اللوحة الفنية ..

تجهم فى قنوط ..

لقد أراد أن يرسم وجهًا عليه سمات الاستسلام .. والرضوخ .. والثبات والجلد ..

وبدلًا من ذلك فإنه أضاف عاطفة جديدة .. فقد أصبح وجه القتيل الآن .. يعبر عن الكراهية !

ولكن ألا يحق للرجل الذى عذّب هكذا .. أن يكره معذبيه ؟!

حاول (كمال) أن يصوّر شيئًا مثاليًا .. أو مطلقًا ..

ومن خلال ذلك حاول تحقيق المستحيل ..

الفن لا يمكنه الهروب من الحقيقة الواقعة ..!

نهض (كمال) فى انفعال .. وأخذ يذرع غرفة التحكم .. مستغرقًا فى أفكاره التثيبة ..

الموت .. والعذاب .. وأقصى ما يمكن من آلام !

وتعجب (كمال) .. فلماذا تصرّ يداه على خلق مثل هذه العواطف .. والأحاسيس ! ولماذا عبّر هذا الوجه المعذب فوق اللوحة عن مسحة واضحة من الألفة ؟

حدّق مرة أخرى فى اللوحة التى أبدعها .. وهو غارق فى أفكاره .. بينما غرفة التحكم من حوله .. تصدر همهمة رتيبة .. كانت خالية تمامًا ..

ومع هذا فقد كان هناك شىء مفقود !

كان (كمال) يحب الكابتن (خالد) .. هذا الرجل المنطوى على نفسه .. فوراء مظهره الخارجى البارد .. كان يحسّ بشخصية ودود .. مرحة ..

لم يكن الكابتن (خالد) فنانًا .. وإنما كان إداريًا ناجحًا .. يعرف كيف يتعامل مع أفراد طاقم سفينة الفضاء (ابن بطوطة) .. وكان يقول دائمًا :

ـ دعوا النجوم تتأجج بالاندماج النووى .. فى مجالاتها الأبدية .. لاتزعجوا سكونها السّرمدى !

وكان بوسع (كمال) أن يغفر الكثير لرجل كانت له أفكار بمثل هذه الشاعرية الغريبة ..

ولكن كان من الصعب عليه أن يغفر له .. طريقة موته ! فقد انتابه حزن عميق .. مروّع .. عندما أخبروه أن الكابتن (خالد فوزى) قد انتحر فى غرفته !!

لم يكن يحب أن يموت رجل كهذا بمثل هذه الطريقة .. إذ كان يجب أن تكون نهايته مهيبة .. ويرحل فى هالة من المجد .. وإطار بطولى ..

وتساءل (كمال) عن السبب الذى دفع الكابتن (خالد) إلى الانتحار !

هل هو الملل .. أم الوحدة .. أم الشعور بالانفصال لمدة طويلة عن كوكب الأرض .. الوطن الأكبر !

حدّق (كمال) فى اللوحة الفنية باهتمام فائق ..

هل كان وجه الكابتن (خالد) هو الذى ينظر إلى الماضى .. من اللوحة المرسومة ؟

كلّا .. لم يكن قائد السفينة .. ولا أى شخص عرفه !

جلس شاردًا مع أفكاره .. يتذكر الأحداث التى جمعته مع الكابتن (خالد) .. كان كثيرًا ما يتحدث إليه خلال السنوات الطويلة الساكنة .. بين النجوم ..

تكلما عن الموت .. والحياة .. والهدف من الوجود .. وقد أطلعه يومًا الكابتن (خالد) على مخاوفه :

ـ أشعر كأننا متطفلون .. يثيرون السخط .. فنران تجارب بين بلايين النجوم .. فماذا سوف نجد ؟.. كائنات أخرى أقدم حضارة منا .. فنصاب بخيبة أمل .. عندما نكتشف أننا لسنا الجنس المتفوق فى الكون ! أم سوف نقابل طرقًا غريبة .. وعادات نجهلها .. وأسرارًا تفتقر إلى القدرات الفكرية والعقلية ! ومع ذلك فإننا ماضون فى طريقنا إلى أعماق الكون !

ثم ضحك دون دعابة .. وكست عينيه نظرة كئيبة .. واستطرد قائلًا :

ـ ... يومًا مّا سوف نجد شيئًا أكبر من قدراتنا .. إحدى الظواهر المثيرة للكون .. وعندما يحدث هذا .. فليعنّا الله !

بيد أنه لم ينتظر حتى يأتى هذا اليوم ..

فقد قتلته الوحدة !!

ـ ٣ ـ

هبط أفراد طاقم سفينة الفضاء (ابن بطوطة) .. فوق كوكب خامد .. تحت الوهج الضارب إلى الحمرة للنجم الغارب ..

كان الكوكب جافًا .. وغريبًا .. بسهول ملتفة من التراب الأصفر .. وهضاب داكنة متوسطة الارتفاع ..

وفى أثناء تجوالهم صادفوا مبنى غامضًا .. يدفع إصبعه العاجى السميك .. تجاه السماء .. بدا أنه العلامة الوحيدة للحياة .. فى هذا العالم .. وكان قديمًا .. يرجع إلى زمن سحيق .. أبعد مما يصل إليه خيالهم ..

اقتربوا من المبنى .. لوضع خاتم إمبراطورية الفضاء .. على أرض جديدة .. يكتسبها الإنسان ..

قال (لطفى) :

ـ يجب أن نكون مسلحين !

رد المهندس (ثروت) :

ـ لا داعى لذلك .. إن الكوكب بأكمله .. عالم ميت !.. دعنا ندخل هذا المبنى الغريب .. لنكتشف سره !

بقى (كمال) صامتًا .. ثم عاد إلى سفينة الفضاء ..

وتحدث فى الذاكرة الإلكترونية للكمبيوتر الرئيسى .. لسفينة الفضاء :

ـ الدافع التلقائى .. هو الذى جعلنا نتخذ إجراءات الهبوط المعتادة ..! وليس الإحساس بالمسئولية .. فبعد سنوات طويلة فى الفضاء .. لم يكن أحدنا يرغب فى تنفيذ تعليمات الآخرين .. بعد أن فقدنا القائد .. الكابتن (خالد) ! يبدو أن حالتنا النفسية سيئة للغاية .. فكل واحد منا يدّعى أن له حقوقًا .. مثل أى فرد آخر .. إننى أراقب علامات تفتت العلاقات الإنسانية بيننا .. وسيادة الفردية .. وضياع روح الفريق ! وأرجو ألا يقودنا هذا إلى الفوضى والاضطراب !

تنهد (كمال) وأغلق وحدة الاتصال بالكمبيوتر .. وخرج ليتنفس هواء هذا الكوكب الغريب ..

وكان يدرك أن إمبراطورية الفضاء .. تتعامل بقسوة بالغة مع حالات الفشل .. أو التمرد .. وعدم الطاعة ..

★ ★ ★

كان للكوكب جوّ غريب .. يشبه الأحلام .. كما لو كان جزءًا من الوجود .. قد تجمد بشكل مّا .. لا يقبل أى تغيير أو تجديد أو زوال ..

بدا الهواء كثيفًا .. ساكنًا .. يردد صدى حديثهم ..

شق الثلاثة طريقهم .. فى صف واحد .. كالنمل تمامًا .. إلى المبنى الضخم ..

تحركوا بكبرياء .. وعظمة .. الإنسان .. ولكن بدون انسجام الجماعة ..

كانوا مجرد أفراد .. وليسوا طاقم قيادة .. موحدًا !

ولكن كانت تواجههم جميعًا .. قبضة التحدى ..

ثم وجدوا شيئًا غريبًا !

كان أول من وجده .. المهندس (ثروت) .. قطعة من الحديد .. شبه مدفونة فى التراب الأصفر .. أخرجها بقدمه .. وجلس القرفصاء .. ونظر إليها بتمعن .. كانت جزءًا من آلة ! صُنعت .. وجُهِّزت .. بطريقة لم يعرفها من قبل قط .. ولكن بعد أن رآها الآن .. فقد عرف السبب !

كانت تتلألأ .. وتومض بكل ألوان الطيف .. فى الضوء المنكسر .. وقد صمم سطحها المخدوش .. بحيث يلغى أى احتكاك ..

ولعل التيارات الدوّامية .. التى تولدت عندما كانت الآلة تعمل .. قد حفظت الأسطح متباعدة عن بعضها .. بمقدار ذرة واحدة !

إن هذا الجزء بلا شك .. هو المرتكز الأوسط لمحرك .. أو لعله كان وحدة إدارة لجهاز مًا .

طرفت عينا المهندس (ثروت) .. واعتدل فى جلسته فوق الرمال الصفراء .. وركز انتباهه .. وأطلق لخياله العنان ..

لابد أن تتجه ماسورة من هنا .. وتقابل عمود إدارة فى الجهة المقابلة .. والوصلة يجب أن تكون هناك .. وعندئذ يستقر فى ذلك التجويف .. وسيلة إدارة متأرجحة تؤدى إلى ..

قبع المهندس (ثروت) سعيدًا .. غارقًا .. فى روائع التصميم .. التى تبلغ حد الكمال ..

ثم وجد (لطفى) جزءًا آخر من الآلة ..

كان نموذجًا متطورًا للغاية .. ولكنه بسيط غير معقد .. لدرجة أنه يسهل فهمه .. كقراءة أى كتاب ..

كان هناك التكوين الأساسى للذرة ..

الإلكترون .. والبروتون .. والنيوترون .. ومئات الجسيمات دون الذرية .. من المادة والمادة المضادة .. التى تكمن فى نواة الذرة .. ومعادلة أينشتين ..

الطاقة = الكتلة × مربع سرعة الضوء ..

وأنواع المجرّات فى الكون .. وعددها .. وحركتها ..

تنهد (لطفى) فى حالة من الرضاء الفكرى .. واستعد للتركيز الشديد ..

ثروة من المعرفة العميقة .. تفتحت أمامه .. مثل وردة وجد بين وريقاتها .. كل ما كان يبحث عنه طيلة حياته ..

معزوفات رائعة .. على أوتار العلم ! غاص فيها بفكره .. وغاب فى حلم .. أبدى !..

ـ ٤ ـ

جلس (كمال) يتحدث فى الذاكرة الإلكترونية للكمبيوتر الرئيسى .. وهو يرى زميليه .. مجمدين فوق الكوكب ..

صورة زيتية من العظام .. واللحم .. والدماء المتدفقة ..

وحوله كان الهواء جاثمًا .. مثل كمية هائلة .. من الحرير المعطر :

ـ إنهما لم يتحركا .. منذ ساعات طويلة .. من الواضح أنهما لا يدركان ما حولهما .. ربما وقعا ضحية لنوع من الفخاخ !! فلابد أن من بنوا هذا المبنى الضخم .. اخترعوا وسائل لحمايته من المتطفلين والغرباء .. أمثالنا .. وبعد فترة قصيرة .. سوف أعبر المسافة إليهم .. وأحاول إعادة الإحساس لهم .. وتذكيرهم بمسئولياتهم !

وبمجرد أن أغلق وحدة الاتصال بالكمبيوتر .. تذكر كلمات الكابتن (خالد) :

ـ ... يومًا مًا ، سوف نجد شيئًا مًا ، أكبر من قدراتنا .. وعندما يحدث هذا .. فليعنا الله !

وبينما كان (كمال) يعبر السهل ذا التراب الأصفر .. إلى حيث جلس زميلاه .. يفكران فى جمود تام ! وأمارات سعادة غريبة .. فوق وجهيهما ! تذكر المزيد من كلمات الكابتن (خالد) ..

ـ ... فئران تجارب .. تركض بين بلايين النجوم !

وأدرك فجأة أن وجه الرجل القتيل الذى رسمه .. مطعونا بخنجر .. يشبه وجهه هو !!

رجل قد شاهد العذاب فى بحثه الأبدى .. عن السعادة .. ثم قُتل .. عندما تحقق أمله ! وشاهد ما وجده زميلاه من قبل .. كان فنًا مطلقًا !

وسيلة لإستخراج مكنونات العقل والقلب .. ومتابعة احتداماتهما .. وسكناتهما .. فى سياق التفجرات الذهنية .. المتسارعة ..

إنه الشىء الذى ظل يبحث عنه طوال حياته ..

المتعة الفائقة ..

شعر بالدموع تترقرق فى عينيه .. وبعاطفة جياشة تملأ قبله ..

إنها السعادة .. غير المحدودة..!

جلس فوق التراب الأصفر .. وحدّق فيما وجده .. فى نشوة .. لانهاية لها ..

وبقى جامدًا ..

★ ★ ★

روايات مصرية للجيب

سلسلة نوڤا للخيال العلمى

سفينة التوابيت

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

راقب (ق) العمال .. والروبوتات .. وهم ينقلون آخر تابوت .. من توابيت التجميد .. إلى قاعة التخزين الكبرى .. بسفينة الشحن الفضائية التى يملكها ..

كان هناك مائة وخمسون من توابيت التجميد .. فى كل واحد منها شخص أرادت السلطات التخلص منه .. ونقله من كوكب الأرض .. إلى الجانب الآخر من المجرة ..

لم يفهم (ق) لماذا لم تقم السلطات بإعدامهم .. ولكنه لم يجد مبررًا للشكوى من ذلك ..

فقد كوّن ثروة طائلة من وراء هذا العمل ..

ابتسم بارتياح ظاهر .. وفرد جسمه الضخم ..

كان فى أواخر الخمسينات من العمر .. ذا عينين غائرتين فى تجاعيد وجهه الصارم .. كانتا حقودتين تشبهان ثقبين سوداوين ..

لم يكن بمقدور أحد أن يخدع (ق) .. أو أى إنسان يريد أن يرى شروق الشمس .. مرة أخرى !

حوّل انتباهه إلى ضابط التفتيش الجوى (ع) ..

وكان فى رأيه .. أنه شاب لم ينضج بعد .. ويطمح فى تكوين مكانه عالية .. فى أقصر وقت ممكن !!

كانت هذه ثالث مرة يضطر فيها للتعامل مع (ع) ..

تكلم (ق) وهو لا يكاد يلتقط أنفاسه :

ـ كل شىء على مايرام !

ابتسم (ع) ، قائلًا :

ـ بالطبع .. ليس هناك أى مشاكل .

ومدّ يده .. فأسقط (ق) فيها قطعتى بلاتين .. كأجر له ..

استدار (ق) خارجًا من قاعة التخزين .. قائلًا :

ـ إذن دعنا ننته من هذا الأمر .. فأمامنا عمل شاق ..

إلا أن (ع) اعترض طريقه ، قائلًا فى ارتباك :

ـ إننى .. إننى أريد ثلاث قطع بلاتين !

ضاقت عينا (ق) وهو يقول بانفعال :

ـ ثلاث قطع !!؟

تردّد (ع) للحظات وهو يجد نفسه فى مواجهة هذين الثقبين السوداوين .. وأخيرًا كرر بهمس ما قاله :

ـ أجل .. ثلاث قطع بلاتين !!

صاح (ق) بقمة انفعاله :

ـ لاشك أنك مجنون ! معنى ذلك أننى لن أحصل على أى ربح !

لكن (ع) تشبث بموقفه :

ـ إننى لاأعرف ماذا تفعل بهذه التوابيت المجمدة .. ولا يهمنى أن أعرف .. ولكنى أعلم أنه لايمكنك نقلها لمنتصف عرض المجرة فى هذه السفينة الفضائية العتيقة .. فمحركات الطاقة النووية التى لديك لايمكنها ذلك !

ناوله (ق) قطعة البلاتين الثالثة ..

ابتسم (ع) بارتياح، وقال :

ـ كنت أعرف أننا سوف نتفق فى الرأى ..

لقد نجح فى خطته .. وكسب نقطة ضد (ق) !

ـ ١ ـ

كانت الكواكب المخصصة للخارجين على القانون .. على مسافات شاسعة .. وقد زودت توابيتهم بالأجهزة اللازمة .. لإيقاظهم بعد عشرات السنين .. ولكن بدون أى إمكانات للسفر فى الفضاء !

وبدا أن هذه هى أفضل طريقة للتخلص من الذين يعملون ضد المجتمع ..

تجميدهم بالنيتروجين السائل .. فى درجة حرارة ١٩٦ تحت الصفر .. ثم إلقاؤهم بعيدًا فى الفضاء ..

وقد واصلت الدول المختلفة فوق كوكب الأرض .. ولأجيال عديدة تنفيذ هذه السياسة ..

وعندما انتهى عقد نقل الخارجين على القانون .. ولزم تجديده .. كسبه (ق) برغم المنافسة العنيفة .. وكانت الدول مهتمة بأقل العروض سعرًا ..

ونجح (ق) فى ضرب أسعار المنافسين ..

لكن بعد ذلك .. لم يكن لديه الرغبة فى نقل الخارجين على القانون .. إلى الكواكب المخصصة لهم ..

وبدلًا من ذلك .. فقد تخلص منهم (ق) فى عدة أماكن بالفضاء .. وبطريقة لاتجعلهم يحتاجون إلى أى شىء، تم تزويدهم به .. عندما تعيد توابيت التجميد .. الحياة والنشاط لهم !

وباع (ق) أجهزة الإيقاظ .. إلى روّاد الفضاء فى الكواكب الأخرى ..!

★ ★ ★

جلس (ق) وزميلاه الملاحان الفضائيان (ى) و (م) .. فى غرفة القيادة .. يشاهدون كوكب الأرض .. وهو يختفى من فوق شاشة الكمبيوتر الرئيسى ..

كان (ى) هو أول من تحدث :

ـ يجب عليكما أن تفعلا شيئًا لـ (ع) .. إن هذا الطراز من البشر .. يزداد جشعه يومًا بعد يوم ..

لكن (م) مهندس الصيانة .. قال مقترحًا :

ـ يجب أن نسحقه كالحشرة الحقيرة !

هزّ (ق) رأسه، قائلًا :

ـ كلّا .. إن القتل مفيد له .. وأرى أن نشبع فضوله بتوضيح ما نفعله مع الخارجين على قانون المجتمع .. ثم نحجز له تابوت تجميد فى الرحلة القادمة !

وعلى الفور رنّت ضحكاتهم العالية .. فى أرجاء غرفة القيادة ..

★ ★ ★

حدثت أول مشكلة بعد ثلاثة أشهر من إقلاع سفينة الفضاء ..

إذ تألق ضوء أحمر على شاشة الكمبيوتر .. المخصص لمراقبة توابيت التجميد .. فى قاعة التخزين الكبرى ..

تجهم وجه (ق) ، ثم قال :

ـ هذا أمر غريب ! ما الذى حدث ؟

حرّك بإصبعه مفتاحًا .. فأضاءت شاشة المراقبة .. وأظهرت (ى) جالسًا فى قمرته ..

قال له (ق) :

ـ ركّز هدفك على عنبر ٢٤ التابوت رقم ٧٧ .. وانظر ما يجرى هناك !

نهض (ى) بسرعة .. وأدخل مسدس الصدمات الصاعقة فى حزامه .. وهرع إلى قاعة التخزين الكبرى .. وهو يفكر فى نفسه :

ـ إذا حدث خلل .. فى أى تابوت تجميد .. فإنه خلل لا أكثر ولا أقل ! وإذا مات الشخص الذى بداخله .. فالأمر لا يهم .. إذ سوف يموت على أية حال !!

كان يوجد باب أمن .. عليه أن يمر منه .. قبل أن يصل إلى قاعة التخزين ..

فتح (ق) هذا الباب .. من غرفة القيادة .. ولاحظ بامتعاض .. كيف يقترب (ى) الواثق من نفسه .. من كل تابوت .. فى الداخل ..

رفع (ى) بصره إلى كاميرا المراقبة .. عندما وصل إليها .. وابتسم فى بلاهة ..

لعنه (ق) بصوت هامس ..

حقًا ، إنه خلال عشر رحلات مضت .. لم تحدث أية مشاكل .. ولكن (ى) كان لامباليًا جدًا .. وكأنه لم يحدث أى شىء !

سار (ى) داخل قاعة التخزين الكبرى ..

كانت توابيت التجميد منتشرة فى كل مكان يصل إليه بصره .. بدت له على شكل نعوش ذات أغطية شفّافة .. بها ضباب جليدى .. مصنوعة من البلاستيك والألياف الكربونية .. وكل منها يعمل بشكل منفصل .. على حفظ حياة من يرقد داخله .. بحيث لا يتأثر سوى فرد واحد .. إذا حدث خلل فى أى منها !!

كانت التوابيت مرتفعة التكاليف جدًا .. واعتقد (ى) أن كل ذلك .. كان مضيعة للمال !

سار فى كسل .. متجهًا إلى عنبر ٢٤ والتابوت ٧٧ .. لكن لم يكن هناك أى خطأ ..

أجرى كافة الاختبارات .. ولكن كل شىء كان على ما يرام ..

كان الراقد داخل التابوت .. شابًا متوسط الطول .. فى منتصف العشرينات من عمره .. ذا لحية .. ظهر نصفه الأعلى عاريًا .. ويكشف عن ثعبان أخضر ضخم .. موشوم على جسده .. ويلتف حوله ..

لم يكن هناك سوى رقم تسجيل .. مكتوب على جبهته .. لتمييزه عن غيره .. دون اسم .. أو تاريخ ..

اتصل (ى) لاسلكيًا بـ (ق) :

- لابد أن هناك رقاقة إلكترونية تالفة .. فى لوحة الأجهزة والعدادات فى غرفة القيادة.. فلايوجد أى خطأ هنا فى التابوت رقم ٧٧ ..

وبمجرد أن ابتعد (ى) .. فتح الشاب الموشوم ذو اللحية .. عينيه على اتساعهما ..!!

- ٢ -

زمجر (ق) عندما حضر إليه (ى) فى غرفة القيادة ..
هدر ، قائلًا :

- (ى) .. لقد أصبحت غير دقيق فى عملك .. إن أى خطأ فى هذه التوابيت المتجمدة .. ربما يؤدى إلى دمارنا كلنا !

قال (ى) بصوت هامس :

- أؤكد لك أنه لايوجد أى خطأ ! ولكن يبدو أنك أصبحت عصبيًا فى سنك المتقدمة هذه ..!

وبرغم أن (ق) كان رجلًا بدينًا .. إلا أنه كان باستطاعته أن يتحرك بسرعة مدهشة إذا أراد ..

فقد اندفع وقبض على عنق (ى) المذهول .. وبدأ يزهق روحه بالتدريج .. كمن يعصر الماء من قطعة إسفنج !

هرع (م) إلى غرفة القيادة .. وعمل على تهدئة الموقف الذى أمامه .. وتوسل إلى (ق) ، قائلًا :

- اهدأ .. أرجوك ..

إلا أن (ق) صاح ، وهو يلهث :

- لاتقلق ! إننى لن أقتله هذه المرة .. ولكن إذا تحدث معى مرة أخرى بهذا الأسلوب .. فسوف أجعله يتمنى أن يكون واحدًا من أولئك المجمدين فى التوابيت .. كالموتى !

وعندئذ ألقى (ى) عبر غرفة القيادة .. بشكل ينم عن الاحتقار ..!

نظر (ق) إلى (م) الشاحب .. المرتعد .. قائلًا :

- ماذا تريد ؟ أخبار سيئة ! هل توقفت المحركات النووية عن العمل ؟!

راقب (م) وجه (ى) وهو يسعل ويغمغم بكلام غير مفهوم ..
ثم يقف على قدميه بصعوبة ..
قال (م) وهو يحاول الابتسام :

- كلَّا .. كلَّا .. بالعكس تمامًا .. لقد حصلت على قدرة أكبر من المحركات .. وهكذا سوف يمكننا الوصول إلى الكوكب (آتو) بعد يوم كامل بدلًا من ثلاثة أيام !

كان (آتو) كوكبًا صغيرًا .. موحشًا .. يدور حول النجم ألفاقنطوروس .. الذى يبعد حوالى أربع سنوات ضوئية عن كوكب الأرض ..

ولكن هذا الكوكب لم يكن يدور حول محوره ..
وكانت الحياة مستحيلة على الجانب البارد المظلم ..
وكذلك فى الجزء الشديد الحرارة منه ..

★ ★ ★

وفى داخل كهوف صخرية .. فى قاع الحفر العميقة .. التى تبدو كالبثور .. وتميز سطح كوكب (آتو) .. جلست مجموعة من المخلوقات الغريبة شبه العارية .. نصف الجوعى .. التى تشبه البشر .. وهى تئنّ .. وتنوح ..

وتحرك بعض الشيوخ من حفرة لأخرى ..

كانوا يطلقون عليهم (الحكماء) .. وهم يعدون الآخرين بقرب وصول الطعام ..

لكن السكان بدءوا يصابون باليأس .. فلم يبق شىء لهم ليأكلوه .. وما لم ترسل الأطعمة .. فإن الحياة سوف تختفى .. ويصبحون ترابًا .. مثل أجدادهم ! يختلط برمال الصحراء التى تغلف سطح هذا الكوكب ..

كان كبير الحكماء (سوكا) .. على وشك أن يصاب باليأس أيضًا ..

نظر إلى الأطفال الذين يحتضرون .. وبطونهم المنتفخة من الجوع .. وسيقانهم الشبيهة بالعصى .. والتى لم تعد قادرة على حمل أوزان أجسامهم !

نظر الآباء والأمهات إليه فى حقد .. وبغض شديدين .. فقد خذلهم ولم يساعدهم .. ولعلهم يفكرون فى القضاء عليه !

انكمش (سوكا) فى رعب من هذه الفكرة المروعة ..

وعلى أى حال .. ما قيمة حياته .. مقابل هذا البحر الذى يحيط به .. من اليأس .. والقنوط ؟!

انصرف إلى مكان هادئ .. وانتظر محاولًا تنظيم أفكاره .. ثم فرد يديه ورفع بصره إلى النجم المضىء .. وأخذ يصرخ .. بكل قوته .. حتى سُمعت صرخاته فى أعمق الحفر ..

وسرعان ما أصابه الهذيان .. وسقط فوق أرض الكوكب ..!

ولم تضع تضحيته هباء ..

هذا ما اعتقده .. بينما روحه توشك أن تغادر جسده ..!

انتشرت أخبار تضحية (سوكا) مثل النار بين السكان المتضوّرين جوعًا ..

وتأجج أملهم فى الحياة .. وهم ينظرون إلى السماء .. فى أمل ..!!

ـ ٣ ـ

فى نفس هذا الوقت .. كانت سفينة الشحن الفضائية التى يملكها (ق) .. تدور فى مدار حول الكوكب .. عاليًا فى الفضاء ..

قال (ق) بعد أن أجرى الاختبارات اللازمة :

ـ سوف نمرّ مرتين فوق سطح الكوكب .. إن ذلك كافٍ .. سجلا الوقت على الكمبيوتر !

أطاع (ى) الأمر ببلادة .. فهو لم يتكلم منذ هجم عليه (ق) ..
كان يضمر فى نفسه انتقامًا رهيبًا ..
ولم يكن (ق) يدرى ذلك .. لأنه كان يركز فى المهمة المنوطة به ..
وفجأة .. تألق مرة أخرى .. الضوء الأحمر ! على شاشة مراقبة التوابيت المتجمدة ..
وشعر (م) بالقلق البالغ .. وقال :
ـ تابوت آخر يُظهر إعادة النشاط والحيوية .. يحسن بى أن ألقى نظرة ..
ردّ عليه (ق) بسرعة :
ـ انتظر أنت هنا .. سوف أذهب بنفسى ..
اتجه (ق) إلى قاعة التخزين الكبرى ..
كان التابوت رقم ٧٧ فى عنبر ٢٤ .. خاليًا !!
غمغم (ق) فى ذهول :
ـ إلهى ! إنه سوف يحاول إيقاظهم جميعًا !!
وكان على حق ..
إذ سرعان ما امتلأت شاشة مراقبة توابيت التجميد .. بالأضواء الحمراء ..
أردف (ق) متهيّبًا :
ـ ...إنه لا يضيع أى وقت .. سوف نتعرض فى الحال .. لمآزق خطيرة !!

★ ★ ★

وفى أحد أركان قاعة التخزين الكبرى .. كان الشاب الراقد فى التابوت رقم ٧٧ .. قد اندفع مسرعًا فى أحد الممرات المعدنية ..
بينما كانت سفينة الشحن الفضائية .. تهبط تجاه سطح الكوكب ..
فجأة .. بدأت الأرضية الصلبة تتحرك .. وتتزلق جانبيًا ..
وفى يأس تسلق الشاب .. أحد القوائم الموجودة فى هيكل سفينة الفضاء .. ثم تمكن بجهد هائل من الوثوب فوق إفريز معدنى .. والتشبث به ..
ولاحظ فى رعب كيف تتساقط توابيت التجميد .. إلى خارج السفينة ! بحيث أنه فى غضون عدة دقائق .. ذهب أكثر من مائة من توابيت التجميد !!
انزلقت الأرضية مرة أخرى فى اتجاه باب الخروج ..
ثم ساد الهدوء السفينة كلها ..
ولكن الشاب لم يستطع التحرك .. إذ أصابته صدمة مروّعة .. فأخذ يحدّق ببلاهة .. وعدم تصديق .. فى قاعة التخزين الكبرى .. الخالية ..!
وعلى سطح كوكب (آتو) .. كانت تضحية الحكيم (سوكا) .. قد أرضت الآلهة !!
وسقط الطعام من الفضاء .. على مساحة كبيرة ..
تحطمت بعض التوابيت من الارتطام بالأرض .. وتجمع حولها عدد كبير من الأهالى .. الجوعى !!

ـ ٤ ـ

مرّت سفينة الشحن الفضائية للمرة الثانية فوق الكوكب .. وراقب (ق) وطاقم القيادة .. احتفال أشباه البشر .. المتوحشين .. بالوليمة التى هبطت عليهم من الفضاء !

ضحك (ق) ضحكة عالية ، قائلًا :

ـ فى المرة القادمة .. سوف نلقى بضابط التفتيش الجوى (ع) هناك !

حملق (ى) ، (م) فيه ..

لكنه لم يلتفت إليهما .. فقد كان مستغرقًا تمامًا فى أفكاره .. للانتقام من (ع) ..!

★ ★ ★

وفى قاعة التخزين الكبرى .. نظر الشاب بحذر .. وأمسك أنفاسه ..

إذ لم تكن القاعة خاوية تمامًا ..

كان ما يزال بها تابوت تجميد واحد ! ويبدو أنه قد انحشر بشكلٍ ما .. بين الجدار وأحد قوائم الارتكاز .. الذى لم يتحطم مثل القوائم الأخرى ..

وثب الشاب إلى أعلى .. وألقى نظرة خاطفة ..

كان بداخل التابوت فتاة فى مثل عمره .. ولم يكن يوجد اسم أو تاريخ لها ..

ضغط على لوحة المفاتيح أعلى التابوت .. لإيقاظ الراقدة فى التابوت ..

إن ذلك يستغرق عشرين دقيقة !

★ ★ ★

تألق ضوء أحمر فى غرفة القيادة ..

تضايق (ق) ، وقال فى حدة :

ـ ما الذى يحدث فى قاعة التخزين الكبرى ؟! ألم نسقط كل التوابيت فوق الكوكب ؟

ثم أخذ يضغط على بعض الأزرار فوق لوحة مفاتيح الكمبيوتر .. لتشغيل كاميرات المراقبة ..

ولكنه لم يشاهد شيئًا على الشاشة ..!

قال بصوت مفعم بالغضب :

ـ لابد أن الكاميرات قد تلفت .. عندما أخلينا محتويات قاعة التخزين .. ولكن يحسن إلقاء نظرة .. اذهب يا (ى) .. وخذ معك مفاتيح أبواب الأمن .. لعلك تجد مزيدًا من التلف الشامل بالسفينة !

لم يكن (ى) ميّالًا للجدل مرة أخرى مع (ق) .. كفاه ما حدث من قبل .. فقد كاد أن يقتله !

وفى نفس الوقت .. لم يكن مطمئنًا لذهابه إلى قاعة التخزين الكبرى .. إذ لم يكن لديه أى فكرة .. عما يمكن أن يجده هناك .. من مفاجآت !!

وبعصبية وضع مسدس الصدمات فى حزامه ..

ضحك (ق) ، وقال بسخرية :

ـ لا تخف .. إننا لن نعمل على التخلص منك .. أنت الآخر !

زادت هذه الكلمات من توتر أعصابه ..

استدار (ق) لكى يشاركه (م) دعابته .. لكن لجزء من الثانية .. لم يضحك ..

كان وجهه النحيف ككتاب مفتوح .. بإمكان (ق) .. أن يقرأ كل كلمة فيه .. كانت الكراهية واضحة فى قسمات وجه (م) .. بل وأكثر من ذلك ..

بدا أن هناك بريقًا لفكرة مّا .. تدور فى رأسه .. كان يخطط للقتل !!

دهش (ق) .. إذ كان يتوقع أن تأتى المحاولة من (ى) !!

لم يغير تعبير وجهه .. بل ظل يضحك من الدعابة التى قالها توًا ..

ثم فجأة أخرج مسدسه الإشعاعى .. وأطلق عدة دفعات من أشعة الليزر على (م) ..

ثم ترك الجثة تتكوم على أرضية غرفة القيادة ..

لم يكن (م) .. هو أول شخص يقتله .. ولن يكون آخرهم !

لكنها كانت المرة الأولى .. التى ترتعد فيها فرائصه بعدها ..

اضطر (ق) للجلوس .. وحدّث نفسه فى اكتئاب :

ـ لو لم أستدر فى تلك اللحظة بالذات .. لما رأيت ذلك التعبير البغيض على وجهه .. ولتمكن من قتلى !

نهض بسرعة ، وهو يقول :

ـ ... المرة القادمة .. ربما ألاقى نهايتى أنا الآخر !

★ ★ ★

فى أثناء ذلك .. فتح (ى) باب الأمن الثانى ..

كانت قاعة التخزين الكبرى .. خالية تمامًا ..

تنهد فى ارتياح .. وأوشك على مغادرة القاعة .. عندما سمع صوتًا خافتًا ..

شعر بالعرق يتصبب إلى أسفل عموده الفقرى ..

دار حول نفسه .. وأطلق نيران مسدسه فى كل الاتجاهات ..

ولكن لم يكن هناك أحد ..

حدّث نفسه ، قائلًا :

ـ إن هذه مجرد تخيلات .. اهدأ قليلًا واطمئن ..

وفجأة .. أغلق باب الأمن ..

وكان هذا أمرًا حقيقيًا !

لقد أصبح سجينًا فى قاعة التخزين الكبرى ..

أسرع يركض ناحية الباب ..

أخرج المفتاح من جيبه فى هلع ..

ولكن الأرضية .. كانت تنزلق فى ذلك الوقت .. إلى الخلف ..

وسقط (ى) فى الفضاء .. خارج السفينة .. ليلاقى حتفه !

ـ ٤ ـ

وفى أحد الجوانب البعيدة لقاعة التخزين الكبرى .. كان الشاب يساعد الفتاة لكى تخرج من التابوت الزجاجى ..

بدت فى حالة رعب بالغ ..

صاحت ، قائلة :

ـ ما الذى حدث ؟ وأين الآخرون ؟!

تردّد الشاب ، ثم قال هامسًا :

ـ أفراد طاقم السفينة قتلوهم جميعًا .. ويبدو أنهم يقتل بعضهم بعضا الآن !

لم يستطع الشاب أن يبعد عينيه عنها ..

مدّ يده .. ومدّت يدها .. فتشابكتا فى قوة .. وذاب القلق فى دفء اللقاء ..

احمرت بشرتها من الخجل .. وابتسمت فى قليل من العصبية ..

كانت فى مثل طوله .. وشعرها أسود طويل .. لم ير من قبل فتاة لها مثل هذا الشعر الفاحم المسترسل ..

وبرغم أن تصرفاته .. كانت تتسم بالرقة .. إلا أن الوشم الأخضر الذى يشبه الثعبان فوق جسده .. أزعجها ..

فهو يعنى أنه منبوذ من المجتمع !

تساءلت فى دهشة :

ـ ما الذى فعلته لكى يصدر عليك هذا الحكم ؟

تردّد للحظات ، ثم قال بتؤدة :

ـ السلوك غير الاجتماعى .. فقد كتبت قصائد لم تقرها السلطات المسئولة .. ولكى أكون منصفًا .. لم أقرها أنا شخصيًا .. ولكن هناك أوقات لابد أن تتاح لنا فيها الفرصة .. لعمل أشياء غير مقبولة .. طالما أنها لا تضر أى إنسان !

ضحك الشاب فجأة ..

فتبدد التوتر العصبى لدى الفتاة .. ثم سألها :

ـ وأنت .. ماذا فعلت لتستحقى هذه العقوبة الشديدة ؟

قطبت جبينها ، وقالت :

ـ رسمت لوحة زيتية .. ضمنتها بعض أفكارى عن الحياة والموت .. واشتركت بها فى أحد المعارض الفنية .. فقبض علىّ بسببها ...

قال الشاب مؤكدًا :

ـ إن حياتنا ستكون فى خطر .. ما لم نستول على هذه السفينة .. إن أفراد طاقمها كالوحوش تمامًا .. ويجب التخلص منهم .

أومأت الفتاة برأسها .. علامة الموافقة ، وقالت فى همس :

ـ وعندئذ نصبح نحن المتوحشين !

نظر إليها الشاب لبرهة ، ثم قال :

ـ ولكنك سوف تساعدينني .. أليس كذلك ؟

قالت بسرعة :

ـ بالتأكيد ..

★ ★ ★

كان أحد أبواب الأمن الجانبية .. متهالكا .. وأمكنهما خلال دقائق .. أن يفتحاه ..

وفى الحال أصبحا .. فى قلب سفينة الفضاء ..

وبرغم أن الكاميرات قد رصدت كل خطوة .. قاما بها .. فإنه لم تبد أى استجابة من (ق) ..

دخلا غرفة القيادة .. ووجدا جسم (ق) الضخم .. منكفئا على شاشة مراقبة التوابيت المتجمدة ..

وثبا عليه قبل أن يتنبه لهما .. فأمسكا الفراغ !!

إذ أنه لم يكن (ق) .. وإنما مجرد صورة مجسمة تشبهه تمامًا .. بالهولوجرافيا .. حيث يتم تسليط أشعة الليزر على الجسم الحقيقى .. وعند انعكاسها .. تكوّن صورة مجسمة مطابقة لهذا الجسم ..! وقد خدعتهما فعلًا .. هذه الصورة المجسمة ..

كان الرجل نفسه .. مختبئا فى مدخل غرفة القيادة .. ويضحك مما حدث لهما ..

ـ لقد استطعت خداعكما !

كان المسدس الإشعاعى .. يبدو ضئيلًا فى يده الضخمة .. وهو يستطرد ، قائلًا :

ـ ... يجب أن أقتلكما !

بدا أن الفتاة سوف تفقد الوعى ..

ترنحت بجسدها الرشيق .. إلى الأمام .. وإلى الخلف .. وشتت هذا انتباه (ق) لجزء من الثانية ..

ولكنه كان كافيًا للشاب .. الذى انقض على جسم (ق) .. الذى أسرع بإطلاق دفقة من أشعة الليزر .. لكنها مرّت على بعد سنتيمترات من رأس الشاب ..

حاول (ق) إطلاق الأشعة مرة أخرى .. ولكن المسدس طار من يده .. بحركة سريعة من الشاب .. وظل يتدحرج فوق أرضية غرفة القيادة ..

واشتبك (ق) مع الشاب فى التحام مرير ..

أحاطه (ق) بذراعيه القويتين ..

أحس الشاب بأنفاسه .. وهى تكاد تزهق من جسده ..

التقطت الفتاة المسدس الإشعاعى من فوق الأرضية .. ووجهته نحو المتصارعين .. الملتحمين ..

صرخت .. وهى تطلق أشعة الليزر على جسم (ق) :

ـ هكذا أصبح متوحشة أنا أيضًا !

بدا أن لحم (ق) .. قد أحكم تمامًا حول الفتحة التى ثقبت الجسد .. بحيث عاقت تدفق الدماء .. ولكن الذراعين تصلبتا ..

لقد مات الآن !

وبرغم هذا .. فقد احتاج الأمر جهدًا ! لإبعاد جسده الضخم عن الشاب !

ثم ألقيا بالجثة إلى كوكب .. المتوحشين .. ليلاقى نفس مصير .. التوابيت المتجمدة !!

أصبح الشاب والفتاة مسئولين عن سفينة الشحن الفضائية .. ووجدا جميع الأطعمة والملابس الخاصة بالخارجين على القانون .. سليمة فى المخزن الثانوى ..

تساءل الشاب فى حيرة :

ـ ما الذى سوف نفعله الآن ؟

ردّت عليه ، قائلة فى يأس :

ـ إننا لا نستطيع الرجوع إلى كوكب الأرض .. فقد أصبح محرّمًا علينا للأبد .. أما هذا الكوكب القريب فهو معادٍ لنا .. بسبب مناخه المتطرف .

عادا إلى غرفة القيادة التى تعمل آليًا ..

راجعا خرائط وجداول الفضاء المحفوظة .. فى بنك المعلومات بالكمبيوتر الرئيسى ..

قال الشاب :

ـ برغم أن السفينة عتيقة الطراز .. إلا أن محركاتها النووية يمكن أن تعمل لمدة طويلة ..

تحمست الفتاة ، وقالت :

ـ إذن دعنا نبق بها .. ونوجهها حول المجرة .. سوف تكون وطننا ..

قال الشاب هامسًا .. وهو ينظر إليها .. بحب :

ـ بل كوننا كله ...

تشرد الفتاة .. ويتألق وجهها المرمرى .. وتتمتم حالمة :

ـ ... حيث الحب .. والسعادة .. والسلام ..

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]

روايات مصرية للجيب

رءوف وصفى

سلسلة نوفا للخيال العلمى

قصص من عالم الغد

١ ـ غزو من عالم آخر .
٢ ـ الإنسان الآلى القاتل .
٣ ـ أشباح فى الفضاء .
٤ ـ رعب تحت المجهر .
٥ ـ سر كتاب الموتى .
٦ ـ الحب المستحيل .
٧ ـ اغتيال كمبيوتر .
٨ ـ الفيروسات الذكية .
٩ ـ هجوم الزواحف .
١٠ ـ ثورة الربوت .

★تحت الطبع★

١١ ـ الرحلة الرهيبة .
١٢ ـ إنتقام الروبوت .
١٣ ـ قيثارة الموت .
١٤ ـ شواطئ الأبدية .
١٥ ـ الرعب الإليكترونى .
١٦ ـ سحابة الموت .
١٧ ـ المؤامرة الكونية .
١٨ ـ مذنب الدمار .
١٩ ـ الرعب الآلى .
٢٠ ـ الكمبيوتر .. يحكم .

سلسلة نوفا للخيال العلمى

قصص من عالم الغد

★★★★

ثورة الروبوت

هذه مجموعة جديدة من قصص الخيال العلمى ، تكتشف المستقبل ، وتعيش فى عالم الغد ، حيث المغامرات المثيرة ، والأحداث الغريبة :

- روبوت متطوّر يبحث عن الذى صنعه ، ثم يقوم بثورة ضد الإنسان ، وفى النهاية ينقذ كوكب الأرض من دمار شامل !
- فتاة تترك بمفردها فوق كويكب لتقوم بتفجيره عندما يقترب من الشمس ، تقابل أحداثًا مثيرة ، ثم تنتهى القصة نهاية عجيبة .
- كيف يعيش الناس فى القرن الثانى والعشرين ؟ سؤال ستعرف الإجابة الغريبة عليه عند قراءة قصة (سحابة الموت) !
- قصة حب غريبة بين النجوم ، بين « المخ العضوى المعدل » وفتاة من نسج خياله !

.. وغير ذلك من المغامرات المثيرة للخيال العلمى

الثمن فى مصر
١٢٥
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

المؤلف

رءوف وصفى

٥١٧٣٩

فى هذا الكتاب

	الصفحة
• ثورة الروبوت.....	٥
• لقاء فى الفضاء.....	٤٩
• سحابة الموت.....	٧٧
• لغز الكوكب الغامض.....	٨٩
• الحب بين النجوم.....	١٠١
• صوت من المكعب الغريب	١١٣
• لحظات خالدة.....	١٢١
• سفينة التوابيت.....	١٣٧

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع